سورة القمر: دراسة دلاليّة في البنية اللغويّة

عـلاء الـديـن أحـمـد الـغـرايـبـة

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربيّة، كليّة الآداب، جامعة الزيتونة الأردنيّة الخاصّة، المملكة الأردنية الهاشمية

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

العدد 29/113

الملخص

ينهض هذا البحث للكشف عن دلالة البناء اللغويّ لسورة القمر، وذلك من خلال تشخيص العناصر اللغويّة التي استرفدها النصّ القرآنيّ لذلك النظم البيانيّ كي تشكل مجموعة فضاءات من البيان والإعجاز لنصّ لغويّ متوازنٍ، منسجم في أساسه بين الأصوات والصيغ الصرفيّة باعتبار أن الألفاظ أبنية صوتيّة، ثم الوقوف على الأبعاد التنظيميّة للتراكيب النحويّة التي قد استحضرت لغايات البيان تلك.

فدرس البحث مخارج الأصوات وصفاتها تلك التي شكلت حضوراً بارزاً في هذه السورة ملتفتاً إلى البناء الصرفيّ وعلاقة كل ذلك بالجرس الإيقاعي والبعد الإيحائي. كما وقف البحث على بعض الأنماط التركيبيّة في النّصّ لبيان القيم الفنيّة فيها والكشف عن جمال معانيها، موظفاً لهذا الغرض منهج تحليل النصّ وتفكيكه إلى عناصره اللغويّة الثلاثة: الصوتيّ، والصرفيّ والنحويّ (التركيبي) ليتسنى للبحث الكشف عن إشعاع الدلالة داخل هذا الأسلوب البيانيّ البنائيّ الفريد. فإذا بهذه السورة بناء فريد قد امتزجتْ فيه جلّ العناصر اللغويّة تمازجاً يُنبئ عن قوة إعجاز، وسرّ بيان، وفصاحة لسان، وعظمة قائل.

تمهيد

لقد توافر علماء اللغة القدماء والمحدثون على درس التعبير القرآني دراسة مستفيضة، فاتبعوا لذلك مناهج شتى جاهدين في الكشف عن وجوه إعجازه، كما فعل غيرهم من العلماء، فكانت النتيجة أن "رآه الأديب مُعجزاً، ورآه اللغويّ معجزاً، ورآه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ورآه علماء الاقتصاد وعلماء النفس والاجتماع معجزاً، كما رآه المصلحون معجزاً، وكلّ راسخ في علمه معجزاً[1]. وإذا به بحر لا ينضب معينه، وملاذ لا يملُّ المتدبر التأمل في أسراره، فهو في ذاته معجزة، كان قد أدركها المشركون حين سماعه، فهذا الوليد بن المغيرة يقول، وصوته ما يزال يردد فينا سرّ بيانه : "والله إنّ لقوله حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه ليعلو وما يُعلى عليه"[2].

ومع هذا الذي ذكرنا فإن باب التنقيب والاجتهاد في إعجاز القرآن الكريم ما يزال مشرعاً لكل مُريد مستزيد في إماطة اللثام عن مواطن الجمال و سرّ البيان في التعبير القرآني، ومن هنا تبرز أهميّة هذه الدراسة في أنها تتجه إلى تلمّس الدلالة في عناصر اللغة: الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة من الخطاب القرآني في سورة القمر؛ لإظهار فرائد المباني، وفوائد المعاني الكامنة في هذا النظم الذي جاءت جلّ عناصره متآخية متعانقة فيه، يأخذ بعضها بيد بعض من الصوت إلى التركيب في دقة وإيجاز وروعة بيان مُعجز؛ يكشف عن ذلك التنقيب عن وظيفة كلّ منها في التعبير، لنجدها وقد ظهرت مجموعة متناسقة معبرة عن دلالة موحدة من خلال النظم الذي حضرت هي فيه؛ ليؤدي هذا التناسق إلى اكتمال معاني الصورة الحسيّة والمعنويّة فيها.

ولما كان النصّ القرآني نصّاً كاملاً متكاملاً يبدأ بالصوت وينتهي بالتركيب فقد اعتمدت في دراستي هذه على أمرين؛ **أولاً**: الكشف عن العلاقة بين الصوت والدلالة، من حيث التأثير الدلاليّ الذي يؤديه الصوت في النصّ، باعتباره البنية الأولى في دراسة أي نصّ رفيع، و"أنّ أيّة دراسة على أي مستوى من مستويات البحث تعتمد في كلّ خطواتها على نتائج الدراسات الصوتيّة"[3]، باعتبار أنّ المناسبة مملوحة بين الصوت والدلالة[4] فيما يُسمى بتصاقب الألفاظ

لتصاقب المعاني[5]. **ثانياً**: البحث في العلاقة الدلاليّة بين المبنى والمعنى، وهي بلا ريب علاقة وطيدة، قد كشف عنها العلماء القدماء والمحدثون[6] محاولاً في هذا الربط الاستفادة مما تقدمه الصيغة الصرفيّة من دلالة، لا في دلالاتها الإفراديّة فحسب بل في المعاني الوظيفيّة التي تقدّمها تلك الصيغ في حال التركيب، إذ إنّ السياق (النظم) بما يشتمل عليه من قرائن الحال، والمقام الذي يدلّ على مقصد المتكلم من كلامه يقدّمان لذات النصّ تلك الدلالة التركيبيّة؛ ذلك "أن الكلمة في حال إفرادها تحتمل دلالات شتى، والتركيب والعلاقات السياقيّة هي التي تكشف عن قصد المتكلم إلى إحدى هذه الدلالات التي تحملها الكلمة حال إفرادها، وعزلها عن السياق"[7]. وهو عينه ما أكده اللسانيون المحدثون[8]، وأشار إليه القدماء اللغويون[9] حين كشفوا عن دور السياق في تحديد المعنى من حيث إنّ السياق لا ينظر إلى الكلمة بوصفها وحدات منعزلة؛ بل تتحدد دلالات الكلمة من خلال رصد علاقاتها بغيرها من الكلمات داخل التركيب المعين[10].

وأخيراً - وبناء على ما تقدّم - فقد كان لزاماً أن يدرس هذا البحث تراكيب البنية اللغويّة لسورة القمر باعتبارها ترجمة لمجموعة العلاقات المشعّة بين عناصر لغويّة متعددة، جاءت في مجملها لتؤدي غرضاً بلاغياً دلاليّاً مقصوداً، ففتش البحث - هادفاً إلى ذلك - عن النظام والنسق الذي يحكم تلك العناصر مجموعة في هذه السورة الكريمة، سواء أكان هذا البحث فيما كان باطناً ساكناً فيها متعلقاً بجوّها العام؛ أي محذوفاً على التقدير المعنويّ أو اللفظي، أم كان ظاهراً على سطح التركيب وفقاً لمبدأ الأوليّة المطلقة للكلّ على الأجزاء - من جانب - إذ لا يمكن فهم أي عنصر من عناصر البنية خارجاً عن الموضوع الذي يشغله داخل تلك البنية؛ أي داخل المنظومة الكليّة الشاملة، ومبدأ العلاقة بين الأجزاء مما يلمّح له البنيويون بوصفه أساساً لفهم بنية أي عمل - من جانب آخر - فالبناء لا يبحث في محتوى الشيء وخصائص هذا المحتوى فحسب، بل يبحث أيضاً في المقام الأول عن علاقة الأجزاء أو العناصر بعضها ببعض، بقصد الكشف عن النسق أو النظام الذي يؤدي إلى وحدة العمل الأدبي[11]؛ أي

الكشف عن وحدة الدلالة في هذا العمل اعتماداً على تمازج تلك العناصر التي اتخذت من هذا النّصّ محلاً لها.

فسرّ صناعة فنون القول نظماً أو نثراً - كما هو معلوم - يكمن في إبراز المعنى، وهو ما لا يتأتى إلا بدقة التركيب اللغويّ وسلامته في نسيج لغويّ متضام يظهر فيه جانبان، جانب المقال وجانب المقام الذي يُعدّ المثير والباعث للجانب الأول[12]. فلا تُعدُّ دراسة المقال مكتملة إلّا بدراسة المقام وما يحيط به من قرائن لفظيّة ومعنويّة وسياقيّة من حيث إنّ لها فائدة كبرى في تحديد المعنى الذي هو أعلى مراتب الكلام؛ "فكلّ دراسة لغويّة لا بدَّ أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى، وكيفيّة ارتباطه بأشكال التعبيرالمختلفة"[13]. وعليه فيقدّم البحث هذه الأخبار المتعلقة بسورة القمر كي يُفصح عن المقام الباعث لما يبحث عنه في المقال، وهو الدلالة من خلال بناء هذه السورة الكريمة.

فسورة القمر: سورة مكيّة كلّها في قول الجمهور، وهي خمس وخمسون آية. وأما عن سبب نزولها فتجمع أغلب كتب التفسير على أن مشركي قريش قالوا للرسول (ﷺ): إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين، ووعدوه بالإيمان به إن فعل، وكانت ليلة بدر، فسأل ربّه، فانشقَّ القمر نصف على الصفا، ونصف على قيقعان، فقال أهل مكّة: آية سماويّة لا يعمل فيها السّحر. فقال أبو جهل: اصبروا حتى تأتينا أهل البوادي، فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح، وإلّا فقد سحر محمد أعيننا، فجاؤوا فأخبروا بانشقاق القمر، فأعرض أبو جهل، وقال: (سحر مستمر). وعن ابن عباس: شقّ القمر شقين: شطرة على السويداء وشطرة على الحديبية وعنه: انشق القمر بمكة مرتين، وعنه: انفلق فلقتين. وفي هذا روايات متعددة إلا أنها تجمع على انشقاق القمر آية من آيات الله المعجزات لنبيه محمد (ﷺ)[14]، فنزلت هذه السورة كي تسلّي عن الرسول (ﷺ)، وتخفف عنه أمر هذا التكذيب وتقوي قلبه، فتخبره بقصص الأنبياء - عليهم السلام - مع أقوامهم المكذبين لرسالات السماء، وما لحق بهم من عذاب ووعيد[15]. وفي هذا تخفيف على قلبه وتثبيت له (ﷺ). وإن كانت هذه السورة قد عالجت واقعة خاصة هي حال (التكذيب) لآية انشقاق القمر فإنّ البحث يستظهر المسألة في

بُعد أشمل، وهي الإعجاز التعبيري الذي اشتملت عليه هذه السورة من خلال هذه المحاور الثلاثة:

أولاً - البُعد الصّوتيّ في السّورة

ويعنى هذا المحور بالبحث عن الجرس الإيقاعي المتشكل من منظومة الأصوات المستخدمة في هذه السورة وفق نسق معلوم قد استلزمه السياق، واستظهرته المناسبة العامّة لذات السورة؛ كي يكون دالّاً على معنى مقصود ومُعبّراً عن مشهد مرصود. فدرس البحث الأصوات المتجاورة في بنية اللفظة الواحدة لكلّ ما ورد منها في هذه السورة معتمداً في هذا على رصد الأصوات بطريقة إحصائيّة بغية الكشف عن معدّل وجود كل صوت منها ومدى تأثيره وتأثره فيما يجاوره من أصوات وعلاقة كلّ ذلك بالدلالة، فكان لزاماً على البحث أن يتبيّن لهذا الغرض مخارجها وصفاتها كي يقوم بتحليل نتائج ما أفرزته تلك الإحصائيّة، في محاولة للكشف عن صلة بنية تلك الأصوات بالبنية الإيقاعيّة والدراسة الدلاليّة المبتغاة كهدف أسمى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن نتائج هذه الإحصائيّة قد تأتت للبحث مما أبدته الأصوات من تفاعلات حال النطق بها؛ أي إنّ البحث لم يعتمد مكتوب النصّ، بل كان اعتماده مرتكزاً على منطوقه، فأخذ بعين الاعتبار حالات الإدغام بين الأصوات وما آلت إليه بعد هذا التفاعل، وحالات الإقلاب التي تحدث بين صوتي النون والباء لإنتاج صوت الميم بدلاً من النون في لفظة (الأنباء) على سبيل التمثيل.

ولدى رصد الصورة الصوتيّة في السورة الكريمة تبين للبحث أن السورة قد انطوت على (1417) ألف وأربعمائة وسبعة عشر صوتاً، بلغ عدد الأصوات الصامتة منها (1282) ألفًا ومائتين واثنين وثمانين صوتاً، في حين بلغ عدد الأصوات الصائتة منها (135) مائة وخمسة وثلاثين صوتاً، وقد توزعت الأصوات الصامتة في تكرارها على النحو الآتي:

الهمزة: 71 مرة، **الباء**: 57 مرة، **التاء**: 55 مرة، **الثاء**: مرتين، **الجيم**: 20 مرّة، **الحاء**: 18مرة، **الخاء**: 7 مرات، **الدال**: 54 مرّة، **الذال**: 53 مرّة، **الرّاء**: 111 مرة، **الزاي**: 12 مرّة، **السين**: 40 مرّة، **الشين**: 15 مرّة، **الصاد**: 13 مرّة، **الضاد**: 6 مرّات، **الطاء**: 8 مرّات، **الظاء**: مرة واحدة، **العين**: 52 مرّة، **الغين**: 4 مرّات، **الفاء**: 48 مرّة، **القاف**: 48 مرّة، **الكاف**: 55 مرّة، **اللام**: 113 مرّة، **الميم**: 141 مرة، **النون**: 159 مرة، **الهاء**: 50 مرّة، **الواو** (نصف المديّة): 45 مرة، **الياء** (نصف المديّة): 24 مرة.

وقد بلغ عدد الأصوات **الممدودة بالألف** (84) أربعة وثمانين صوتاً، **والممدودة بالواو** (35) خمسة وثلاثين صوتاً، في حين بلغت الأصوات **الممدودة بالياء** (16) ستة عشر صوتاً. وأمّا **الأصوات المشددة** فقد بلغت (96) ستة وتسعين صوتاً.

تحليل النتائج

1 - تسود في سورة القمر الأصوات ذات الإسماع العالي القويّ[16]، وهو ما يوافق جو السورة والسبب الذي من أجله نزلت، إذ تتحدث السورة عن (اقتراب الساعة) وعن آيات معجزات قد حصلت، وعن تكذيب ووعيد، وعذاب وعقاب لأقوام سالفة، فاستلزم هذا النوع من الأخبار استحضار هذه الأصوات بصفاتها تلك لتنسجم والتعبير عن هذه المعاني تعبيراً قويّاً عالياً في وضوحه الصوتيّ، ولعلّ أوضح دليل على ذلك ظهور الأصوات الصائتة (**الألف والواو والياء**) ظهوراً مبرزاً فيها، وهي من أقوى الأصوات إسماعاً وعلوّاً[17]، وظهور صوت (**النون**) ذي النغمة العالية[18]، والحزن الساكن فيه على مشهد التكذيب ومشهد التعذيب، إذ يمثل صوت النون إحصائياً - كما هو ظاهر في ما قُدّم سابقاً - أعلى نسبة تردد من بين الأصوات جميعاً.

2 - على الرغم من أنَّ (**اللام، والميم، والنون، والراء**) تصنّف تقليداً ضمن الأصوات الصامتة (السواكن)، فإن هذه الأصوات ذات تركيب أكوستيكي

يشبه إلى حدٍّ كبير ذلك الموجود في الأصوات الصائتة (العلل)؛ ذاك أن (العلل) تحتل بطبيعتها الأكوستيكيّة موقع القمم في المقاطع الصوتيّة، في حين تحتل الصوامت موقع القاع، إلّا أن هذه الصوامت المتوسطة (اللام والراء والميم والنون) تحتل المركز الثاني بعد العلل في قوّة إسماعها[19]، وربما يُفسّر هذا الذي قدّمه البحث مجيء معدّل تكرار هذه الأصوات بهذه النسبة العالية، إذ بلغت (524) مرّة كي تناسب بنغمتها العالية التعبير عن معاني الغضب والوعيد - وما دار في فلكهما- لأولئك الذين كذّبوا الرسل - عليهم السلام - إذ استلزم هذا الغضب وذاك العذاب حضور هذه الأصوات ذات النبرة العالية والإسماع القويّ بهذا المعدّل الكبير في سورة القمر.

3 - يحتل صوت (**الراء**) وهو صوت تكراري مجهور يتكون باعتماد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا واللثة، وارتعاده بالراء مكرراً لها، مع تذبذب الأوتار الصوتيّة حال النطق به[20]، نقول: يحتل هذا الصوت موقعاً متقدّماً من المراتب العليا في نسبة تردده في هذه السورة؛ وذاك لأمرين، **أولهما**: أن صوت الراء قويّ بالتكرير والجهر اللذين فيه، إذ إن التكرير والجهر من علامات القوّة في الصوت [21]، وذلك كي تناسب هذه القوّة في الصوت جوّ السورة في محاولة للكشف عن هول التكذيب والتعذيب الذي لحق بالمكذبين المجرمين، من حيث إن فيه تصويراً لمشهد من القهر والذلّ الذي يحتاج إلى معاودة تنفيذ في كل مرّة، كما هو أمر التكرير والتذبذب (حركة الأوتار) المنبعثين من صوت (الراء). وأما **ثانيهما**: فقد اقتضت الفاصلة القرآنيّة وجود هذا الصوت كما اقتضاه المعنى، نحو: (**القمر، مستمِر، مستقِر، مزدجَر، النُذر، نكُرُ، منتشر، عسر، ازدُجر، فانتصر، منهمِر، قُدر، دُسُر، كُفر، مُدّكر، نُذُر، مُدّكر، نُذُر، منقعر، نُذُر، مُدّكر، مُحتظِر، فعقر، المُحتظر، مُدّكر، بالنُذر، بسحر، شكر، بالنُذر، نُذر، مستقر، نُذر، مُدّكر، بالنُذر، مُقتدر، الزُّبُر، منتصر، الدُّبُر، أمرّ، سُعُر، سَقر، بقدر، بالبصر، مدّكر، مُستطر، نهر،**

مقتدِر)[22]، فضلاً عن وروده في السياق الذي يتلاءم والقوّة الساكنة في هذا الصوت.

4 - تفوّق (**الأصوات المجهورة**) إحصائياً على الأصوات المهموسة؛ إذ بلغت الأصوات الصامتة والصائتة المجهورة (994) تسعمائة وأربعة وتسعين صوتاً، وهي نسبة عالية إذا ما قورنت بالعدد الإجمالي للأصوات المكررة في هذه السورة الكريمة. وإنما نعلل ذلك بربط هذه النتيجة بالجو العام والمعاني الغليظة التي شاعت فيها من حيث إنّ تلك المعاني قد استلزمت ظهور الأصوات المجهورة بهذه النسبة كي تناسبها في التعبير عن الغضب الربّاني لتكذيب الرُسل وآياتهم المنزلة، لما فيها من علو في الصوت يتناسب وذلك العلو المتشظي من ذاك الغضب؛ ذلك أن الأصوات المجهورة لها قوة إسماع عالية، إذا ما قورنت بالأصوات المهموسة[23]، ثمّ لمّا كانت (الآيات) و(الرُسُل) هي أمور واضحة غير غامضة ولا يشوبها الخفاء والضباب فقد جاءت الأصوات المجهورة الظاهرة في وضوحها الصوتيّ بهذه النسبة العالية كي تناسب ذلك الظهور وذاك الوضوح في التعبير عن تلك المعاني.

5 - لقد حققت الأصوات الصامتة المهموسة قوّة إسماعيّة ثانويّة ملحوظة من خلال أمرين: **أولهما**: أنها جاورت الأصوات الصائتة المجهورة لتحقق لها تلك المجاورة تعويضاً عن الخفاء النسبي التي اتصفت به من همسها[24]؛ ذلك أنّ المقام يستلزم الوضوح لا الخفاء فهو خطاب يمسُّ شريحة مكذبّة كافرة ناشزة عن المجتمع الإيماني، ولما كان الأمر هو كذلك فقد احتاج إلى فضح مواقفهم بطريقة ممزوجة بالوعد والوعيد والعذاب المستقر، إذ بلغت الأصوات الصامتة ممدودة بالأصوات الصائتة (84) أربعاً وثمانين مرة، كي تزيد من وضوح الأصوات المهموسة من جانب، وتقوّي الأصوات المجهورة قوّة فوق قوّة جهرها من جانب آخر. **ثانياً**: من خلال التضعيف الذي أصاب أغلب أصواتها، إذ بلغت الأصوات المشددة (96) ستة وتسعين صوتاً فيما يسمّى: (بنبر التضعيف) أو (نبر الشدة)، وإنّ للنبر

قوّة تُضاف إلى الصوت الصامت فيحقق من خلاله وضوحاً سمعياً ظاهراً للشدة التي يتطلبها الصوت أو المقطع المنبور[25].

6 - حققت (**الهمزة**) -وهي من الأصوات المستعصية في النطق- نسبة عالية في ظهورها في هذه السورة، إذ تكررت (71) إحدى وسبعين مرّة كي تناسب هول المعصية وشدتها لهؤلاء الرُسُل من قبل أقوامهم، فقد وصف العلماء القدماء الهمزة بأنها صوت شديد[26]، وقال المحدثون فيها: إنها حنجريّة انفجاريّة وعمليّة إنتاجها تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر، مما يجعلنا نعدُّ الهمزة أشق الأصوات[27]. وكأنّ هذه الشدّة في هذا الاحتباس والفرقعة الناتجة من انفراج الوترين فجأة لتشبه شبهاً كبيراً تلك الشدة والفرقعة التي واجهها كفار الرسل وجاحدو آياتهم من العذابات التي نزلت بهم، والتي لم تنزل بعد بمَن يريد أن يكون على شاكلتهم.

7 - لازمت بعض (**الأصوات المفخمة**): (الصاد، والطاء، والظاء)[28]، و(**الأصوات الصفيريّة**) الأخرى: (السين والزاي)، بل صوت الصاد خاصّة - وهو الصوت المطبق المفخم الصفيري- ألفاظ العذاب الذي نزل بأولئك المكذبين كي تحقق هذه الأصوات بالتفخيم الذي فيهن والوضوح الصوتي الذي يمتلكنه دلالة مرعبة في تلك العذابات وغلواً في السخط النازل بأولئك الكافرين[29]، الأمر الذي يعني أنها قد ناسبت جوّ العذاب المنتشر في السورة انتشاراً عاماً، فهي إنما سُمّيت بالأصوات الصفيريّة لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير[30]، و(الصفير) من علامات القوة في الأصوات؛ ذلك لأنك تسمع له حساً ظاهراً في السمع؛ أي إن الأصوات الصفيرية من ذوات التردد العالي[31]، وقد ظهرت الأصوات الصفيرية في قول ربّ العزّة: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾[32]. بل إنك لتجد صوت (الصاد) قد تكرر في لفظة (**صرصراً**)، والصوت إذا ضعّف أفاد المبالغة والتكثير على نحو ما نلحظه في صرّ

وصرصر، على ما نبّه عليه الخليل[33]، وإن المناسبة مملوحة بين الصوت والدلالة مثلما نبّه على ذلك سيبويه[34]، و سمّاه ابن جني: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني[35]. وقد فسّر المفسّرون الريح الصرصر: "بالشديدة العصوف في برد، والتي لصوتها صرير هو شديد الصوت، مأخوذة من شدّة صوت هبوبها إذا سمع فيها كهيئة قول القائل: صرّ. فقيل منه: صرصر"[36].

كما تلازمت وألفاظ العذاب الذي نزل بقوم صالح، إذ قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾[37]، إذ حقق التفخيم والصفير اللذان في الصاد لهذه الصيحة دويّاً وشدّة، حتى جعلتهم "كالشجر اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء"[38] عُقبى نزول صيحة جبريل - عليه السلام - فيهم. وتلازمت أيضاً وألفاظ العذاب الذي نزل بقوم لوط، إذ قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾[39]، بعد أن ﴿أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا﴾[40]، فكان عاقبتهم بادئ الأمر، كما يقول ربّ العزّة: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾[41]، حتى صارت كسائر الوجه لا يُرى لها شقٌّ، فلم يبصروا ضيفه[42]. ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾[43]. كما تلازمت وألفاظ العقاب الذي نزل بآل فرعون الذين أخذهم الله ﴿أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٖ﴾[44]، فجاءت مزيدة بوضوحها الصوتيّ؛ ذلك أنها اقترنت بالقاف، وإنّ في القاف بعض تفخيم[45]. كما جاءت تلك الأصوات(المفخمة والصفيرية) مقترنة بألفاظ العذاب التي تعبّر عن حال الكفار في يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[46]، فقد عبّرت تلك الأصوات المفخمة والأصوات الصفيريّة عن هول هذا العذاب وهو يشتعل ناراً، ويصدر دويّاً غليظاً.

8 - جاء صوت (**الشين**) منتشراً في الألفاظ الدالّة على الانتشار والكثرة وامتداد المساحة كما هو حال هذا الصوت؛ فهو صوت متفشٍّ؛ وإنّ

معنى التفشّي في اللغة: الانتشار والانبثاث[47]، وفي الاصطلاح: "كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق به"[48]. فهو صوت ينسجم والتعبير عن صورة الريح التي تخرج بشدة في حال منتشرة عند النطق به؛ ذلك أن "اللسان يشغل أثناء النطق بهذا الصوت مساحة أكبر ما بين الغار واللثة أكثر مما يشغله غيره من الأصوات"[49]. ومن هذا قول ربّ العزة: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[50]؛ أي انفصل بعضه عن بعض وصار فرقتين[51] في دلالة على الانتشار. وقوله عز وجل: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[52]، وفيها من الدلالة على الانتشار والكثرة ما لا يحتاج لبيان. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾[53]، في دلالة على الانبساط المفرط والانتشار الكثير حتى يستوي هذا الهشيم على كثرته بالأرض.

9 - جاء صوتا: **(اللام والراء)** في أغلب ذكرهما مفخمين في دلالة مقصودة من الله - عزّ وجل - للتعبير عن توجيهات غليظة من لدنه تعالى وتعاظم في تصوير عقاب مَن يكذّب المرسلين؛ ذلك أنّ الأصل في (اللام والراء) الترقيق، وإنما يُفخمهما - وأعني هذين الصوتين - نتيجة تقعر سطح اللسان وتراجع مؤخرته قليلاً في أثناء النطق بهما، كما هو الحال مع الأصوات المطبقة، والتفخيم من الصفات القويّة، إذ لازمت هذين الصوتين أو غيرهما من أصوات الاستعلاء[54]، ثمّ إنّ اللام المفخمة أوضح سمعاً من نظيرتها غير المفخمة[55]، وعليه نقول: إنّه لما كانت هذه السورة تبعث على الرعب والخوف بتجسيد الصورة المرعبة للذين كذبوا الرسُل والكشف عن هول العذاب الذي أُنزل بهم والذي سُينزل بغيرهم فقد استلزم السياق القوّة والوضوح في التعبير عن كل هذه الشدّة الساكنة في هذه الآية، ليتناسق اللفظ والمعنى تناسقاً واعياً مقصوداً، بحيث تكون هذه السورة في نهاية الأمر أنموذجاً رفيعاً للوعيد المنتظر لكل مَن يكذّب بالرسالات السماويّة ويبطش برسلها؛ لأن بطش الله أدهى وأمر.

10 - استهل الخطاب القرآني القول بالحركة اللغويّة: ﴿اقْتَرَبَتِ﴾[56] وهي تشكل فضاء صوتياً مفعماً بالحيويّة النابضة بقرب ذلك الأجل، من حيث إن اللفظة تعود بجذورها الأصليّة إلى مادة (قرب) فكأن حدث (الاقتراب) يخرج خروجَ اللفظ مع النفس؛ ذلك أن النطق بمادة (قرب) يستلزم الرجوع إلى منتهى الحلق حيث اللهاة للنطق بالقاف؛ إذ إن (**القاف**) صوت لهويّ انفجاري شبه مفخم مهموس[57]، ثم إلى (**الراء**) الصوت اللثويّ التكراري المجهور[58]، ثم إلى (**الباء**) الصوت الشفويّ الانفجاري المجهور[59]؛ أي إننا نسير من صوت لهويّ إلى صوت لثويّ لينتهي المطاف إلى آخر المخارج الصوتيّة قرباً من الفضاء وهو الصوت الشفويّ، ومن صوت انفجاري كما بدء الحياة إلى صوت متوسط واضطراب حركة، كما هي حال السنين التي نعيشها، إلى صوت انفجاري حيث ينتهي الهواء إلى فضاء لا مردّ له هو ذات الفضاء الذي اقتربت معه الحياة إلى الانتهاء به، وكل ذلك في وسيلة تسودها الأريحيّة والكياسة، كما هو حال الحياة التي تنتقل بنا بهذه المراحل دون أن نشعر باقتراب الأجل معها.

11 - ثم ليقول لنا ربُّ العزّة: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[60] فيؤدي صوتا (**الشين والقاف**) المضّعف حقيقة كامنة في لفظة (انشقّ)، إذ يبدأ الفعل بالنون كي يجسد بدْء الحركة والحدث لهذا الفعل، ثم سرعان الانتشار والانبثاث به، وقد تأتى لها ذلك من صوت (الشين) المتفشي[61] المتصل في نهاية المطاف بصوت القاف الانفجاري المقلقل[62]، والقلقلة كما يصفها ابن الطحان: "صوت حادث عند خروج حروفها بالضغطة عن موضعها، ولا يكون إلّا في الوقف ولا يستطاع أن يوقف دونها، مع طلب إظهار ذاته"،[63]؛ مما يعني أن هذه الأصوات المقلقلة تحتاج لبروزها وإظهارها الشدَّ على مخارجها بإضافة صويت مخفّف إلى الصوت المُقلقل حين الوقف عليه، وكأن نهاية هذا الحدث (انشق) مرتبط بحركة قصيرة، هي ذاتها الحركة اللازمة لانقضاء صوت القاف المقلقل في دلالة على بزوغ هذا الصوت وتحققه، وذاك الحدث وحصوله.

12 - وأظهر ما يكون التعاقب بين الأصوات في إيقاعها، والدلالة في تشكلها وشدة معناها في قوله تعالى: ﴿مُّنقَعِرٍ﴾[64]؛ إذ حشدت هذه اللفظة ثلاثة أصوات هي: **(القاف والعين والراء)**، وهي - بلا شك - تعكس صدى مكابدة صوتيّة؛ (فالعين) صوت حلقي[65] متجذّر في العمق، وإن اللافظ ليكابد في نطقه مكابدة شديدة، و(القاف) صوت لهويّ انفجاري (شديد) مقلقل[66]، و(الراء) لثوي تكراري[67]، إذ يرتعد اللسان معه ارتعاداً للنطق به. وكأنّها لفظة صاقبت المعنى الذي من أجله جاء هذا التشبيه: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[68]؛ أي منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض، وقيل شبّهوا بأعجاز النخل، وهي أصولها بلا فروع؛ لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رؤوس[69]، ويزيد هذا التشبيه حُسناً أنهم كانوا ذوي "جثث عظام طوال"[70]. ويتجسّد هذا العمق في المعنى كما هو العمق في اللفظ في هذه الألفاظ التالية، وقد تعانق جذورها الأصليّة صوتاً موغلاً في العمق، ومنها قوله تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ﴾[71] من (هطع) أي مسرعين إليه[72]، و﴿فَعَقَرَ﴾[73]، و﴿وَسُعُرٍ﴾[74]، و﴿سَقَرَ﴾[75]. وكأنّ هذين الصوتين: **(العين، والقاف)** الموغلين في العمق والشدة والمكابدة في نطقهما ليعكسان أمر الاستقرار والشدة في العذاب المرّ الذي هم واقعون فيه.

13 - تتعزّز القوّة والصخب باستخدام أصوات **(الزاي، والدال، والجيم، والراء)** من لفظتي: ﴿مُّزْدَجَرٌ﴾[76]، و﴿وَٱزْدُجِرَ﴾[77]، هذه الأصوات الدّالّة على الشدة والحركة والاضطراب والتكرار في الحدث، وهو ما يذكرنا بقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[78]، فقد حشدت اللفظتان تلك الأصوات المجهورة التي تتذبذب الأوتار الصوتيّة معها حال النطق بها، لتبدأ حركة الفعل مع الأحداث كما هي مع هذه الأصوات، فيعلو الصوت صفيرياً في زلزلة؛ أي حركة واضطراب، كما هو الحال في صوت الزاي الصفيري المجهور[79]، ثمّ إلى (الشدة) التي في (الدال)[80]،

فإلى الانحباس الهوائيّ الذي يخلص إلى الانفجار ببطء، كما هو الحال مع صوت (الجيم) المزجي[81]، في إشارة إلى الخلاص والتنبيه إلى ما تبديه اللفظتان من المدى الطويل للمعنى؛ ثمّ لتتقوى بالتكرار القاصد في صوت (الراء) كي يعطي إيقاعاً مهيباً مشكلاً بصورة مهيبة. ففي الآية الأولى ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ إشارة لما يشعر به الكلام من استرسال لإرسال الرسل وإيضاح الدليل والإنذار لمن مضى، أو إلى ما في هذه الأنباء من مدى طويل، أو إشارة إلى ما في الساعة المقتربة من أحداث فاعلة ظاهرة متحركة[82]. وهو في الثانية ظاهر بيّن في قوله تعالى عن قوم نوح - عليه السلام - الذين قالوا فيه: ﴿وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾[83]، ففيه إخبار منه - عزّ وجلّ - عن نوح - عليه السلام - وقد زُجِر عن التبليغ بأنواع متعددة من الأذيّة والتخويف من قبل قومه له على مدى طويل[84]. وعليه فإن الجرس الإيقاعي الذي تجسده تلكم الأصوات: (الزاي، والدال، والجيم، والراء) المتناغمة ليُفضي بنا إلى حركة مريبة ظاهرة للعيان، فهي متموجة تتضح بالحركة المشبعة بالدلالة (الصفيريّة- الجهريّة)، والدلالة (الانفجارية-الاحتكاكية)، والدلالة (التكراريّة) في إشارة إلى تجدد الأحداث وشدتها، بل تكرارها على صورة الآيات في الأولى، وتكرار التعذيب مع (نوح) - عليه السلام - في الثانية.

14 - كما تتعزّز تلك القوّة وذاك الغضب والصخب وصوت الأنين المرتفع في حشد صوت (**السين**) الصفيري المستمر[85]في دلالة على استمراريّة الأحداث من الألفاظ التالية: (**سحر مستمر، وكلّ أمر مستقر، يوم عسر، نحس مستمر، عذاب مستقر، في ضلال وسعر**"[86]، إذ توحي هذه الألفاظ بما ضمّت من صوت (**السين**) الصفيري الاستمراري بدلالة الاستمراريّة على ثبات الحال، وتجدد لذلك العذاب النازل بالجاحدين للرسالات الربّانيّة في جذوة نار ملتهبة عالية في وضوحها الصوتيّ للصفير الذي في ذاك الصوت، فهو صوت يحوي حركة شبوب النار وابتعاث

لهيبها في "**سعر**" ليتنامى إضرامها بقوّة التكرار الذي يوحي به صوت (الراء) التكراري الساكن في الفاصلة القرآنيّة، إنها أصوات تحاكي حسيس النار في اشتداد جذوتها.

15 - ولعلَّ سمة أخرى إيقاعيّة ملموحة في هذه السورة يكاد يلمسها البحث من خلال تجاور بعض الأصوات وتجاذبها في الوضعيّة التي اتخذتها على النحو التالي وقد استجمعت هذه الألفاظ ضروباً من التجاور الصوتيّ كي تشكل تجانساً يفضي إلى ذاك **الإيقاع الصوتيّ** الذي تحسُّ به الأذن متى سمعت سورة القمر، ومن بعض مظاهرها:

أ - منظومة صوت **القاف**: (ا**ق**تربت الساعة، وانش**ق** ال**ق**مر)، (خل**ق**ناه، ب**ق**در).

ب - منظومة صوت **الذال**: (ف**ذ**وقوا عذابي ونذر).

ج - منظومة صوت **الجيم**: (**ج**اءهم مزدجر)، (ت**ج**ري **ج**زاء)، (م**ج**نون وازدجر).

د - منظومة صوتيّ **الدال والعين**: (يدع الداع).

هـ - منظومة صوت **الحاء**: (حملناه ألواح)، (صيحة واحدة).

و - منظومة صوتي **الزاي والعين**: (تنزع، أعجاز).

ز - منظومة صوت **العين**: (تعاطى، فعقر).

ح - منظومة صوتي **الكاف والميم**: (أكفاركم، أولياكم).

ط - منظومة صوتي **الجيم والدال**: (الأجداث، جراد).

ي - منظومة صوتي **الباء والراء**: (الدبُر، الزبُر).

ك - منظومة صوتي **السين والراء**: (**س**حر، م**س**تمر).

ل - منظومة صوت **السين**: (م**سّ**، **س**قر) (نح**س**، م**س**تمر).

وبعد، فتظلُّ مناسبة هذه السورة - وجوّها العام - قويّة حاضرة في الإيقاع الصوتيّ المتولّد من التناغم والتجانس بين تلك الأصوات: في مخارجها وفي

صفاتها؛ لتجسد تلك المعاني الصاخبة الغاضبة وتشيء بها اعتماداً على الترابط بين الصوت والدلالة.

ثانياً - البعد الصرفيّ في السورة

لقد تبيّن ما للجو العام لسورة القمر من تأثير في فونيميّة الأصوات وحركتها ومقدار تماوجها في السورة من حيث تجاورها وتجاذبها كي تكون طيفاً يغلّف معاني الألفاظ ويواشجها، وهو السبب عينه الذي لأجله تماوجت البنى الصرفيّة في هذه السورة وتعاقبت؛ فقد كان للجو العام والمعاني الملتهبة في ذات السورة تأثير في توزيع البنى الصرفيّة وحركة دلالاتها وذلك كي تواشج - أيضاً - وروح الوعيد والتعذيب والصخب لأولئك الذين أنكروا الرسل، و كذّبوا برسالات السماء وآياتها. فكما سادت في السورة الأصوات ذات الإسماع القويّ منها بخاصّة في دلالة على تأبّي النفس من فحش هذه الأفعال، ورفضها رفضاً مطلقاً، وإظهار قوّة مشهد الوعيد لأصحابها في استحضار الأصوات ذات النغمة العالية، فقد ساد في هذه السورة من الصيغ الصرفيّة ما هو ماض في سبيل تحقيق ذلك الهدف أيضاً؛ ذلك أن عناصر اللغة جميعها: (الصوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة) ترد من المعين ذاته، فهي مجموعة تنطلق في نهاية الأمر من مقصد واحد هو تصوير مشهد التكذيب والنكران لوحدانيّة الله المتمثلة بنكران آياته وتكذيب رُسُلِه في صورة جذوة لهيب (مشهد تعذيب المكذّبين)، ومشهد حُرقة حزن وألم على النفوس المقدّسة من ربّها، والمُعذّبة بتكذيبها وتعذيبها من قبل أقوامها (مشهد تكذيب الرسل).

1 - بيد أنّ ما تجدر الإشارة إليه أنّ البنى الصرفيّة السائدة في هذه السورة بعامّة قد ارتبطت بألفاظ الفاصلة القرآنيّة بخاصّة أقوى ارتباط، ولعلَّ السبب في ذلك أنها ترتبط في نهاية الأمر بروح المعاني التي تغلّف السورة بأكملها، فنجد أنّ أغلب البنى تلك قد اتفقت في نهايات الفواصل في أغلب أحوالها كي تتفق بدلالاتها كذلك، وذلك لاشتراكها في بنى مورفولوجيّة واحدة، كاشتراكها في بنية (**اسم الفاعل**)، من نحو: **مُستمر** (مكررة)[87]،

مُستقر(مكررة)[88]، **مُنتشر** [89]، **مُنهمر**[90]، **مُدّكر**(مكررة)[91]، **مُنقعِر**[92]، **المُحتظِر**[93]، **مُقتدِر**(مكررة)[94]، **مُنتصِر**[95]، هذه البنية الدالّة على ثبوت الصفة في صاحبها مع ما فيها من دلالة على تجدد تلك الصفة[96].

فقد جاءت لفظة (مُستمِر) على صيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[97] في دلالة على ثبات الصفة وتجددها، إذ يقول المفسرون: إنّ معنى (مستمر): قويّ محكم شديد دائم[98]؛ أي أنه سحر قد استمر تأثيره فيهم لإحكامه وشدته في دلالة على ما في هذه الصيغة من ثبات على الرؤيا وتجدد لهذا السحر. فالكفار المكذبون يعلنون - مع عظيم هذه الآية وتحققها - نكرانهم المستمر لهذه الآية، ولهذا هو سحر زائل - في نظرهم - لا محالة[99]، فيتشدد لهذا الأمر نكرانهم لغيرها من الآيات البينات إن وقعت وإن لم تقع بعد، مما يعني أنّ استخدام بنية (اسم الفاعل) للفظة (مستمر) كان لهدف مقصود، هو تعبير هذه البنية عن مواصلة نكرانهم واستمراريّة ذلك النكران وثباته من لدنهم، لا بل ليصل تأثير هذا النكران إلى مَن أراد أن يكون مصدقاً لها ولغيرها من حيث إنّ أفعال هذا الرسول مستمرة على هذا الوجه من التخيلات فاحذروها.

وتحققت دلالة هذه البنية في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾[100]؛ لأنّه يستقرّ بكلّ عامل بعمله، فالخير مستقرّ بأهله في الجنّة، والشرُّ مستقرّ بأهله في النار[101]، فاستحضار بنية اسم الفاعل (مُستقر) كان بهدف تصوير ثبات مشهد التكريم لأهل الجنّة، وتصوير ثبات مشهد التعذيب وتجدده لأهل النار، مصداقاً لقوله تعالى وتأكيداً له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[102]. ولقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[103]. وقيل في معنى (مستقر): إنّ الحق يستقر ظاهراً ثابتاً والباطل زاهقاً واهياً[104]، وما كان لهذه المعاني أن تحضر بهذه

الدلالة في هذه السورة لولا استخدام ربّ العزّة -وهو أحكم الحاكمين- هذه المعاني في هذه البنية الصرفيّة.

كما تحققت دلالة هذه البنية في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[105]، إذ عبّر ربّ العزّة عن حدث الانتشار ومشهده بصيغة اسم الفاعل لا بصيغة الفعل؛ وذلك كي يجسّد حالتهم الدالّة على ثبات الصفة فيهم، والتجدد في حركتهم الدالّة على الكثرة والتموّج والفزع الذي هم عليه، فهم لا يهتدون أين يتوجهون، وليس لهم جهة يقصدونها[106]، فجاءت لفظة (منتشر) على هذا البناء لتجسّد تصويراً لمشهد حاضر مستمر في أذهان مَن يتلقى هذه الآية فيلحظ قوّة وقعها وصخبها. وتحققت دلالة هذه البنية أيضاً في لفظة(مُنهمِر) من قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾[107] إذ استخدم الله - جلّ ثناؤه - صيغة اسم الفاعل للتعبير عن حدث تدفّق الماء ليفصح عن هول الماء الذي نزل من السماء، ثمّ إن فيه تصويراً لمشهد ثابت؛ وذلك لأنّ التعبير بالاسميّة أثبت وأقوى من التعبير بالفعليّة[108]، فهو ماء (مُنهمِر) بلا انقطاع لأنّه لم ينقطع أربعين يوماً حتى انقضى أجلهم وقامت قيامتهم[109].

ونجد - في أول الأمر وآخره - أنّ الله - عزّ وجلّ - يطرح سؤالاً بل يكرره في دلالة على أهميته - من حيث إنّ التكرار يأتي في النصّ لتحقيق فائدتين هما: الإيقاع(النغمة الصوتيّة) والإلحاح في العبارة على المعنى لإبرازها- وقد تجسّد في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[110]؛ لأنّ ما أُفصح عنه من صور ومشاهد يتطلب السؤال عن مُعتبِر متذكر[111]بتلك الآيات الحريّة بالاعتبار؛ أي عن متعظ حافظ خائف[112]يتذكر ما قد فعلناه بهذه الأمّة أو تلك التي كفرت بربها وعصت رسلها: نوحاً ولوطاً وصالحاً بعدما جاءتهم تلك البينات، فينقلب من حال الكفر والجحود إلى الإيمان والخشوع كما انقلبت أصوات الكلمة داخل هذه البنية الصرفيّة من حال الهمس إلى حال الجهر، ساعة ثقُلت هذه الأصوات بتجاورها على الألسنة، فانقلبت (التاء) إلى (دال) كي توافق الذال في الجهر، ثمّ لتدغم هذه (الذال) في (الدال)[113]، فيما يسمّى بالمماثلة بين الجهر والهمس[114]، فتحتل الأصوات

المجهورة ذات الإسماع القويّ الصدارة في اللفظة، بدلالة على ما يوازي الباطل من همس وخفاء، وما يوازي الحقّ من جهر ووضوح.

ونلحظ دلالة اسم الفاعل (مُستمِرّ) من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[115] على ثبات صفة النحس في ذاك اليوم مع تجددها في دلالتها على الاستمراريّة، فمعنى (مُستمرّ) كما أوردته كتب التفسير: الدائم، إذ استمرَّ بهم حتى بلغهم جهنم؛ أي دام حتى أهلكهم، أو استمرّ عليهم جميعاً صغيرهم وكبيرهم حتى لم يبق منهم نسمة[116]، وجوّز بعض المفسّرين أن يُراد بالمستمر: "الشديدة المرارة والبشاعة"[117]. وأيّاً كان المعنى فهو دالّ على ثبات الصفة في هذا التعذيب مع دلالته الظاهرة على الاستمراريّة. وتتمثّل دلالة تلك البنية بوضوح في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[118]، ذلك أنّ الله - عزّ وجل - قد صوّرهم كأعجاز النخل المقتلعة من جذورها؛ لأنّ الريح كانت تقطّع رؤوسهم فتبقى أجساداً بلا رؤوس[119]، في دلالة على دوام الحال في هذا التعذيب حتى يبعث ربّ العزّة بمشهد يوم القيامة.

وإنّ الأمر لا يحتاج إلى عَنَتِ تأويل وتفسير لثبات الحال وتجدده في صفة المعذبين، وقد خلدوا في العذاب، كما يقول ربّ النّاس: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾[120]. ولا في ثبات الصفة بل ديمومتها مع المليك العزيز ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾[121]. وبعد كلّ هذه المعاني التي أفصحت عنها الآيات فهل من مُنتصِر غير الله، ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾[122] في تساؤل يدلّ على الاستهزاء بهؤلاء الكفرة: أفعالهم وأقوالهم؛ إذ إنّ معنى هذه الآية كما يفسّرها بعض المفسّرين هو: "أيقولون واثقين بشوكتهم نحن جماعة أمرُنا مجتمع لا يُرام ولا يُضام"[123]، فنحن جميع منتصر ممن قَصَدَنا بسوء ومكروه وأراد حربنا وتفريق جمعنا[124]، فيدللون على هذه الثقة بالثبات والاستمراريّة على الانتصار باستخدام بنية اسم الفاعل (منتصر)، على ما فيه من "إتباع لرؤوس الآي"[125]، ويقول الرازي في هذا: "إنّ الكلام كما يزين بحسن المعنى يزين بحُسن اللفظ"[126].

2 - اشتراكها كذلك في بنية الفعل الماضي (فَعَلَ) هذه الصيغة الدالّة على اقتران الحدث بزمن قبل زماننا، فهي صياغة تصلح لجميع الأزمنة الماضية المتقدمة القريبة منها والبعيدة[127]، وذلك لتحقيق الإيقاع المنشود، وإبراز المعنى المقصود من قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[128]، ومن قوله تعالى: ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَآ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾[129]، إذ تُبدي اللفظتان تضاداً في نوع الحدث كما تبديان تضاداً في نوع الجزاء لكلّ منهما، فهما صورتان توحيان بالإيقاع الظاهر كما توحيان بالتضاد لمشهدين متقابلين.

3 - واشتراكهما كذلك في بنية (فَعَل) الاسميّة في دلالتها على التمكن والثبات[130]، كي يحدث هذا الاشتراك إيقاعاً مورفولوجياً ظاهراً في أواخر الفواصل القرآنيّة، وجمالاً إيقاعيّاً في قول الله - عزّ وجلّ -: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾[131]، وفي قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[132]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[133]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[134]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[135]، فقد وحّد الله - عزّ وجل - (النهر) في اللفظ ومعناه الجمع إتباعاً لرؤوس الآي[136]، أي اقتضته موسيقى فواصل الآيات القرآنيّة بخلاف ما لو قال: (أنهار)، ليحقق هذا الإفراد الإيقاع المرتقب، إذ يرى المفسّرون اللغويون أنّ (نهر) اسم جنس بمعنى الأنهار، وهو بمعنى الجمع، وقد يؤتى بالواحد للدلالة على الجمع والكثرة، وأنّ من معاني (النهر) أيضاً السعة والضياء، وأنّ هذه المعاني كلّها مُرادة مطلوبة، فإنّ المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي هذه السعة، في ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة[137]. ويؤكد الدكتور فاضل السامرائي أنّه "لما كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون، وليسوا عموم المؤمنين أعلى أجرهم ودرجتهم فقال: (ونَهَر)"[138].

4 - واشتراكها كذلك في بنية **(فُعُل)** التي توحي ببلوغ أقصى المعنى وغاية الصفة في موصوف مُراد، واستغراق جنس المُسمّى من نحو قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[139]، مكررة إحدى عشرة مرّة، ومعناها: انّ الإنذار لا يجدي فيهم. والنُذُر: هاهنا مصدر معناها: فكيف كان عذابي وإنذاري، وقد يكون جمع (نذير)[140]. وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[141]، ومعنى(سُعُر): العذاب والهلاك[142]، وقاله ابن عباس وعنه: وجنون، وقال قُتادة: (سُعُر) عناء، وقال ابن بحر: (سُعُر) جمع سعير: وهو وقود النار، أي كمن هو في خطر[143]. وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾[144]، وهو صفة على (فُعُل) قليل في الصفات[145]، وقال الخليل: (النُكُر) نعت للأمر الشديد، ونُكُر ونُكْر لغتان، وهو الأمر الفظيع العظيم وهو يوم القيامة (الحساب)[146]، فجاءت على وزن (فُعُل) إتباعاً لرؤوس الآيات؛ إذ الأصل السكون والضمّ للإتباع[147]. وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾[148]، و(الدُسُر): المسامير، واحدها دسار ككتاب وكُتُب، قال به الجمهور[149]، وقال الحسن وابن العباس معناها: عوارض السفينة لأنها تدسر الماء؛ أي تدفعه والدسر: الدفع، وقال مجاهد وغيره: هي بطن السفينة[150]. وقوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾[151]؛ أي اللوح المحفوظ، أو الكتب السماويّة[152] في دلالة على الجمع.

ونلحظ في هذا الاستخدام الربّاني إيقاعاً مورفولوجياً جميلاً يتمثّل بتكرار الألفاظ: **(النُذُر، وسُعُر، ونُكُر، ودُسُر، والزُبُر)** على تلك البنية، بيد أنّ فيه لفتة بلاغيّة أجمل في هذه الفاصلة القرآنيّة، وهي أنّ الله - عزّ وجلّ - قد عبّر عن الإنذار بالنُذُر، وعن السعير بالسُعُر، وعن الزّبور مجموعة بالزُبُر، وعن الدِّسار بالدُسُر، وكلها متعلقات بعظمة الخالق وقدرته ورحمته بالمجموع لا بالإفراد، لكنّه لما أراد التعبير عن إدبار الكفار وإعراضهم عن آيات الله وهزيمتهم المرتقبة

ببدر[153] فقد عبّر عنه بالإفراد ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[154] لا بالجمع (الأدبار) على تفسير بعضهم إذ قال: "الأصل ليولون الأدبار"[155]، كما جاء في سورة الحشر، وإنما حسن اسم الجنس هاهنا (الدُّبُر) كونه فاصلة قرآنيّة[156]، كما نلمح في هذا التعبير دلالة خفيّة جميلة وهي أن الله أراد هادفاً تحقير هؤلاء الملحدين المدبرين، فاستخدم لهذه الدلالة الإفراد لا الجمع هذا من جانب، ومن جانب آخر نلحظ في اختيارات النظم القرآني للصيغ الصرفيّة السائدة دليلاً فاعلاً على تعاضد هذه البنى لتحقيق الهدف المنشود من تماوجها داخل النصّ القرآني، هذا في ملمح على إشارتها المقصودة لبلاغة الدلالة في تلك الصيغ. فمثلاً:

1 - تُستحضر في هذه السورة بنية **(اسم المفعول)** من بين المشتقات استحضاراً نفيساً، بيد أنها أضفت إيقاعاً جميلاً على هذه السورة، فهي قليلة إذا ما قورنت بصيغة (اسم الفاعل) التي استحضرت كثيراً في السورة هذه؛ وذلك أنّ صيغة اسم المفعول تدل على قبول أثر لفعل ذي قهر[157]، بما فيه من دلالة على الحدوث إذا ما قيس بالفعل، وعلى الثبوت إذا ما قيس بالصفة المشبهة[158]. وعليه فلا يمتلك معها صاحبها القبول والرضوخ؛ لأنّ إرادة الحدث أقوى وأشد وطأة وجبروت من إرادته، ونحسب أن مسألة القلة والكثرة في سيادة الصيغ الصرفيّة أو غيرها من عناصر اللغة في نصّ ما إنما هو أمر مرهون بالجو العام لذات النصّ، ولهذا كان لا بدّ من الاعتماد على جوّ السورة في محاولة للكشف عن مسألة طغيان بناء صرفيّ ما على بناء صرفيّ آخر، لنقول: لما كانت هذه السورة تناغم المشاعر الإنسانيّة ترهيباً وترغيباً من أجل التغيير نحو الأمثل والأجدى، وذلك من خلال الإيمان بالرسالات المنزلة على رُسُل الله عزّ وجلّ بغية الاعتقاد التام بوحدانيّة الله - تعالى وتبارك - فقد تطلب النصّ القرآني الذي بين أيدينا ظهوراً لصيغة اسم الفاعل مع ما تقدمه هذه الصيغة من ثبات في الصفة ودلالة على الاستمراريّة حتى لحظة البعث في سؤال يطرح لكلّ أمّة وفي كلّ عصر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[159]. على أنَّ أسماء المفاعيل التي استحضرت في هذا النظم القرآني قد خدمت ذاك الهدف، بل إنها ناشدت

المعاني من أجله، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة. وسنكتفي لهذا الأمر ضرب هذين المثالين للتدليل على ذلك **(أولهما)**: قوله تعالى على لسان الكفار: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[160]؛ أي أنهم لم يقتصروا على مجرد حدث التكذيب، بل إنهم نسبوه إلى الجنون، فقالوا: مجنون؛ في محاولة منهم لوصفه بوصف خارق عن نواميس الطبيعة، فجاؤوا بصيغة اسم المفعول للدلالة على المبالغة والإفراط في هذا الذي يدعى حتى ذهب بعقله، فيكون بهذا الجنون الذي أصابه غير ملام وغير مصدق من حيث إن الصفة التي اكتسبها قد جاءته من قوة خارقة غير معلومة، يقول صاحب البحر المحيط: "قالوا: هو مصاب الجنّ: لم يقتنعوا بتكذيبه حتى نسبوه إلى الجنون، أي: يقول ما لا يقبله عاقل، وذلك مبالغة في تكذيبه"[161]. و**(ثانيهما)**: في قوله تعالى على لسان نوح - عليه السلام -: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[162]، فقد استخدم النظم القرآني صيغة اسم المفعول(مغلوب) للدلالة على المبالغة والإفراط في الإيذاء الذي تلقاه من قومه، فكانت النتيجة أن دعا ربه عليهم بالعذاب لأنهم غلبوه بتمردهم ولم يسمعوا منه؛ إذ إن تكذيب نوح كان أشد وأبلغ من حيث إنّه دعاهم قريباً من ألف سنة وأصروا على التكذيب، ولهذا ذكر الله تعالى تكذيب نوح في مواضع متعددة، ولم يذكر تكذيب الرسل الآخرين صريحاً وإن هو نبّه عليه[163].

كما يلمح البحث موازنة عظيمة مقصودة في تماوج الدلالة بين صيغة (اسم المفعول) والفعل الذي جاء بعدها في الآيتين السابقتين، وهي أن في صفة الجنون التي اتهم بها نوح - عليه السلام - زيادة وتشديداً عليها من قبل الكفار[164]، ولهذا أراد النظم القرآني هادفاً إظهارها بصيغة دالّة على الزيادة هي صيغة اسم المفعول[165]، وقد قدّمها في التركيب للأهميّة في إبراز دلالتها بل تأكيدها، من حيث هي الأصل في هذا الزجر، وإنما جاء الحكم الرّباني في النهاية على أنه **(ازدُجر)** كنتيجة منطقيّة لآخر المناظرات بين نوح وقومه[166]. وهو عينه ما ينطبق على قول نوح - عليه

السلام -: "**أنّي مغلوب**"؛ إذ انتهت دلالة الدعوة وحركتها بالثبات والمبالغة الصادرة من بنية اسم المفعول لتنطلق إلى حركة زمنيّة مستقبليّة وهي "**فانتصر**" أي؛ فانتقم بعذاب تبعثه عليهم[167].

2 - ثمّة سرٌّ بلاغيّ آخر في اختيار ربّ العزّة لصيغة "**مُقتدر**" بدلاً من قدير من قوله تعالى: ﴿أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[168]، و﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[169]، علاوة على أنّها تشكل إيقاعاً مورفولوجياً جميلاً للفاصلة القرآنيّة فتنسجم بهذه الصيغة مع ما سبقها وما لحقها من صيغ مُرادفة، من حيث إنّ "في قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ إجلالاً وتعظيماً لو كان النصّ "ملك قادر" من ناحية، ومن ناحية أخرى إنّ الله - عزّ وجلّ - لمّا أعلى أجر المؤمنين ودرجتهم وبالغ في إنعامهم وإكرامهم جاء بالصفة والموصوف بما يدلّ على المبالغة فقال: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، ولم يقل (ملك مقتدر) فإن (مليك) أبلغ من ملك و(مقتدر) أبلغ من (قادر)؛ فإن كلمة (مليك) على صيغة (فعيل) وهي أبلغ وأثبت من صيغة (فعِل)[170]، (فمليك) تعني: "ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة وليست الياء من الإشباع"[171] و(المقتدر) أبلغ من (القادر)؛ ذلك أن (المقتدر) اسم فاعل من (اقتدر) وهذا أبلغ من (قدر)، فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف فعل. فجاء هاهنا، أي (مقتدر) بالصيغة الدالّة على القدرة البالغة مع الملك الواسع الثابت، كما أنها صيغة دالّة على الاستمراريّة والثبوت في هذه القدرة[172]، فهو قادر عظيم القدرة[173]، ثمّ إنّه لمّا تناول ربّ العزّة في هذه السورة كلّ الأقوام المكذّبين بالعذاب والوعيد على اختلاف أوقاتهم وأماكنهم فقد استخدم لهذا الغرض - وقد اقتضاه السياق - (مقتدر) كي تكون هذه الصيغة شاملة لجميع الأزمان والأماكن.

3 - استُحضِرت في هذه السورة بعض صيغ المبالغة لهدف مقصود، كاستحضار صيغة المبالغة (**فعّال**) مقرونة بالكذّاب في دلالة مشخّصة على المبالغة في تكذيب هؤلاء الرُسُل، عليهم السلام، فهي صيغة تدلّ على

المبالغة[174] مع ما يبديه هذا البناء على ديمومة الكذب واستمراره فيمن يوصف به، وذلك من قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[175]، يقول الرازي: "الكذّاب (فعّال) من فاعل للمبالغة"[176]، والمبالغة كما يقول: "إما في الكثرة، وإما في الشدة، فالكذّاب، إما شديد الكذب يقول مالا يقبله العقل أو كثير الكذب، ويحتمل أن يكون وصفوه به لاعتقادهم الأمرين فيه"[177].

كما استحضرت صيغة المبالغة (**فُعّل**) مقرونة بالألفاظ الدّالّة على صفة الإذلال لهؤلاء المكذبين، فهم يأتون: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[178] دون (خاشعة) لغرض بلاغيّ هو غير ما ذكره بعض المفسّرين من أنّ "جمع التكسير أكثر في كلام العرب"[179] على صحّته؛ ذلك هو أن هذا البناء جاء مناسباً لسياق الآية الدالّ على التكثير، "فالجمع موافق لما بعده وهو (أبصارهم)، وموافق للضمير الذي هو صاحب الحال في (يخرجون)[180]. فالمقصود أنّ هؤلاء كُثر فتطلب الأمر وصفهم بالخُشّع مبالغة في هذا التصوير الذي يفصح عن إذلال متناهٍ في عمق الصفة فيهم يوم يشهدون مشهد الحقّ؛ إذ إنّ معنى الخشوع: " السكون، وخشوع الأبصار: سكونها على كل حال لا تلتفت يمنة ولا يسرة"[181]، وإنّ في خشوع الأبصار دلالة عظيمة على الذّلّة؛ لأنّ الأبصار أثر كلّ ذلّة[182].

ويلمح البحث سرّاً بيانياً في اختيار النظم القرآني لاسم الفاعل(**مهطعين**) بعد صيغة المبالغة (**خُشّعاً**)؛ ففي الثانية مبالغة في تصوير الخنوع والذلّ لأولئك الكفار المكذبين، وإنما وصف - جلّ ثناؤه - الأبصار بالخشوع دون سائر أجسامهم، والمراد جميع أجسامهم؛ لأن أثر ذلّة كلّ ذليل، وعزّة كل عزيز، تبيّن في ناظريه دون سائر جسده[183]، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع، فكأنّ الله تعالى - فيما نحسب - أراد هادفاً التركيز على مشهد هذا الذلّ مع مبالغة فيه حتى يكون الوصف دقيقاً فاستخدم لهذه الصفة هذه الصيغة (**خشّعاً**)، ولما كانوا هم كذلك على ما

هم عليه من ذلّة فقد اكتفى ربّ العزّة بهذا التصوير ليطلع علينا بعد ذلك مشهد آخر من مشاهد تصويرهم باستخدام صيغة (اسم الفاعل) (**مهطعين**)؛ أي "مسرعين بنظرهم قِبَلَ داعيهم إلى ذلك الموقف"[184] وقد قيل؛ إنّ "أصل الهطع مدّ العنق، أو مدّ البصر، كما يكنى به الإسراع، أو عن النظر والتأمل فلا تغفل"[185]على ما في هذه الصورة أيضاً من ذلٍّ وخنوعٍ وثباتٍ واستمرار هذه الصفة، فهي صفة ثابتة فيهم متجددة في أوصافهم.

4 - بل يلمح البحث لهذه المبالغة في التصوير سراً بيانياً آخر ذلك هو اختيار النظم القرآني لصيغة التضعيف (**فعّل**) - الدالّة على المبالغة والتكثير[186]- مع الأفعال التي تتعلق بالعذابات التي نزلت بهؤلاء المكذبين؛ بُغية تجسيد الصورة المرعبة لمشاهد ما نزل بهم من عذاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[187]، إذ جاء التعبير بصيغة (فعّل) دون (أفعل) والسرُّ في اختيار تلك الصيغة دون غيرها أن (فعّل) إنما تأتي للتكثير والمبالغة غالباً، وعليه فهي صيغة ناسبت تلك الدلالة وهي كثرة الماء الذي نزل من السماء وكثرة الماء الذي نبع من الأرض ليحول ذلك دون نجاتهم. يقول الرازي في علّة التضعيف ودلالة قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ : "لتقابل كثرة عيون الأرض سعة أبواب السماء فيحصل بالكثرة ها هنا ما حصل بالسعة هنا"[188]، ولهذا قال ربّ العزّة: (أبواب السماء) بالجمع. وأمّا قوله: (وفجّرنا الأرض عيوناً) فهو أبلغ من قوله: "وفجّرنا عيون الأرض"؛ لأنه يكون حقيقة لا مبالغة فيه"[189]. ثمّ إنها صيغة ناسبت الدلالة على هول العذاب الذي نزل بقوم لوط في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾[190]، فهي صيغة قد أفادت "المبالغة"[191]، إذ لم يكشفه عنهم كاشف، بل اتصل بموتهم ليستقر ويدوم حتى يسلمهم للنار[192].

كما جاءت هذه الصيغة (فعّل) لتجسّد طاقة تعبيريّة هائلة لقول الحق: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[193]، في دلالة على تيسير

القرآن للحفظ، إذ لم يكن شيء من كتب الله تعالى يُحفظ على ظهر القلب غير القرآن[194]، أو "سهلناه للاتعاظ إذ أتينا فيه بكل حكمة"[195]، "فجعلناه يعلق بالقلوب ويستلذ سماعه بما اشتمل عليه من حسن النظم وسلاسة اللفظ وشرف المعنى وصحته، وعروه عن الوحشي[196]، كما جعلناه تذكرة لكلّ أحد وتتحدى به في العالم ويبقى على مرور الدهور، ولا يحتاج كل من يحضرك إلى دعاء ومسألة في إظهار معجزة وهو الأظهر"[197].

5 - استحضر النظم القرآني في هذه السورة الكريمة بعض **(أسماء الأنبياء)** الصالحين استحضاراً مكثفاً، وقد اختزلت الألفاظ في سياقهم للتعبير عن مشهد معاناتهم مع أقوامهم بإيجاز، فتناسب بهذا العرض الغرض الذي من أجله نزلت هذه السورة؛ ذلك أنّ المقصود من ذكرها التهوين والتسلية لقلب محمد (ﷺ)، من حيث إنّ حاله كحال من تقدّم من الرسل لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[198]؛ ففي هذه السورة تعبير قاصد لإبراز مشاهد حقيقيّة صادقة على تكذيب الرُّسُل وتعذيبهم في صورة كليّة مختزلة، بل إنّ فيها تجسيداً لعذاب مستمرّ لأولئك المكذبين كي تكون شاهدة على نصرة الله - عزّ وجل - لأوليائه الصالحين، وقد أظهرها الله - سبحانه وتعالى - أدلة على المشهد الأهم، وهو (اقتراب الساعة) من جانب، إذ روى قتادة عن أنس قال: "خطب رسول الله (ﷺ) وقد كادت الشمس تغيب، فقال: **(ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى)**"[199]. وصورة مفزعة لكلٍّ من كذّب الرسالات ورسلها من جانب آخر، ومن بينها صورة تكذيب (انشقاق القمر)، تلك الآية التي جاءت آزرة لحبيب الله ورسوله محمد (ﷺ).

فذُكر من الأنبياء وأقوامهم: **(نوحاً)** وقد ازدُجر من قومه، في حين ذكر قوم **(ثمود)**، وقد كذّبوا نبيهم **(صالحاً)** وعقروا ناقة الله، وقوم **(عاد)** وقد كذبوا نبيّهم **(هوداً)** - عليه السلام -؛ لأنّه لما لم يكن لقوم (نوح) - عليه

السلام - علم فقد ذكر قومه مضافاً إليه، ولما كانت (عاد) علماً لقوم (هود) - عليه السلام - ذكر العلم؛ لأنه أبلغ في الذكر من التعريف بالإضافة[200]، كما ذكر "**لوطاً**" وقد كذّب قومه نُذُره، وما أُرسل إلى "**آل فرعون**" من الرّسُل وقد كذبوا بآياتهم. ويرى الرازيّ أنه: "إنما ذكر حالة (نوح) بشيء من التفصيل هنا؛ لأن "قومه جمعوا بين التكذيب والاستكبار، وكذلك حال صالح - عليه السلام - "لشدة مناسبتها بحال محمد (ﷺ)، إذ كانت مبالغتهم في التكذيب لا في الاستكبار"[201].

6 - يشيع في هذه السورة استخدام (**جموع التكسير**) لاستغراق كلّ الطاقات المسخرة لتكذيب الرسل - عليهم السلام - على اختلاف أزمانها وطاقاتها، فأغلبها ذات تعلّق بوصف مشهد هذا التكذيب؛ إما لأسبابه وإما للعقوبات التي نزلت بأصحابه، فقال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾[202]، فكان لهم من الجزاء أن جاؤوا يوم القيامة ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾[203]، و﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[204]، وقد فتح الله عليهم ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾[205]، ليهلك ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾[206]. إنها صيغة استحضرت لتصوير هول العذاب الذي نزل بهم على كثرتهم، من حيث إنّ الجمع يفيد معنى الاستمرار والامتداد والتكثير[207]، يعضد هذا الأمر قوله - عزّ وجل -: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[208] في دلالة على الكثرة والتموج[209]، كما يسنده استحضار ألفاظ الجموع في دلالة على الكثرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾[210]، وقوله أيضاً: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾[211]، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[212] إذ استخدم لهذه الأفعال الضمائر الدالّة على الجمع للكثرة.

7 - كما يلتفت البحث إلى استخدام النظم القرآني لصيغة (**اسم المرّة**) مؤكدة بواحدة من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾[213]. ففي هذا تصوير لإعجاز قدرة الله - سبحانه وتعالى - في

سرعة أدائه على هؤلاء الكافرين المكذبين من حيث إنّ في هذا النظم إفصاحاً عن تعذيب مهيب لأولئك الجاحدين في مقابل إفصاحه عن مبالغة في تجسيد أمر هو جدّ هين عليه، سبحانه وتعالى، فما هي إلّا صيحة واحدة (مرّة واحدة) من العزيز المقتدر الذي أوكل بها جبريل عليه السلام[214] حتى أصبحوا كالهشيم المحتظر. والهشيم هو: ما تفتت وتهضّم من الشجر، أو ما يبس من الحظيرة بطول الزمان، تطؤه البهائم فيتهشّم، وقيل: المحترق، كما قيل: "المحتظر: الذي يعمل الحظيرة"[215]. يقول الرازي في هذا الأمر: "يحتمل أن يكون التشبيه بكونهم يابسين كالحشيش بين الموتى الذين ماتوا من زمان، وكأنه يقول: سمعوا الصيحة فكانوا كأنهم ماتوا من أيام"[216]. ومنه أيضاً - فهي كسابقتها - قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾[217]، وإنما أمره - عزّ وجل - معقود بين الكاف والنون؛ "أي كلمة واحدة، وهو قوله له (كُن) هذا هو المشهور الظاهر، وعلى هذا فالله إذا أراد شيئاً قال له (كُن). فهناك شيئان: الإرادة والقول، فالإرادة قدر، والقول قضاء، وقوله (واحدة) بيان أن لا حاجة إلى تكرير القول إشارة إلى نفاذ الأمر"[218] بلا مشقة[219].

وإذا كان البحث قد وقف على ملامح بيانيّة جميلة في اختيار النظم القرآني للأسماء فإنّه يلمح كذلك سرّاً بيانيّاً رائعاً في **اختيار النظم القرآني للأفعال** بعضها من بعض، وهذه بعض ملامح ذلك السّر البياني:

1 - اختيار النظم القرآني الأفعال المضارعة: **(يروا، يعرضوا، يقولوا)** في سياق تزاحمت فيه الأفعال الماضية بل والمشاهد التي حققت أحداثها نحو (اقتربت، انشقّ، كذّبوا، اتبعوا)، والسرُّ في ذلك - فيما نحسب - أنّ الله تعالى لمّا ختم النبوّة والرسالة برسالة محمد (ﷺ) وقد كان تكذيبهم لآية (انشقاق القمر) ساعة الخطاب، إذ إنّ الرسول معهم وبينهم، فقد جاء التعبير عن هذه الأحداث بدلالة الفعل المضارع كي تكون دالّة على الاستمراريّة والتجدد في تكذيبهم لهذه الآية، بل لآيات أُخر شاهدة على

وحدانيّة الله؛ ولهذا فلا جرم أن الخطاب قد جاء في صياغة المضارع كي تناسب المعنى المنشود من أنهم (لم ولن) ينتهوا من تكذيبهم للرسول الكريم، وخير دليل على ذلك استمراريّة الجحود والنكران لوحدانيّة الله من قِبَل أمّة استهوت الضلالة واستمرت فيه إلى عصرنا هذا، بل إلى وقت البعث والنشور. ويحتمل التعبير بهذه الصيغة غرضين متمازجين وإن هما متضادان في الاتجاه؛ (أولهما): إنّ الله - عز وجل - أراد هادفاً أن يخبر نبيّنا الكريم أن آيات تصديقه لن تنتهي بهذه الآية، فلو استخدم ربّ العزّة التعبير عن هذه الدلالات بصيغة الماضي معها، لكان هذا بمنزلة إعلان بانتهاء حدوث الآيات والبراهين. وأما (ثانيهما) ففي ذلك الاستخدام كلام ضمنيّ بأن أساليب التكذيب لن تنتهي بهذه الواقعة بل ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[220]، وقد "جاءت الجملة الشرطيّة ليدل على أنهم في الاستقبال على مثل حالهم في الماضي"[221]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[222]؛ للدلالة صيغة المضارع على التجدد والاستمرار[223]؛ أي إن النذر لم تغن الأقوام التي سلفت كما لن تغن الأقوام التي لحقت، ثم إنّ في التركيب نفياً للإغناء بدلالة (ما) على النفي، أو بدلالتها على الاستفهام الإنكاري، والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة الإغناء[224].

2 - استخدام ربّ العزّة لصيغة المضارع (تجري) من قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[225]؛ أي بحفظنا وكلاءتنا[226]، ففي استخدام صيغة المضارع سرّ بيّاني عظيم ولمحة ربانيّة مغلّفة بالمحبة والترقّب من حيث إن فيه تكريماً لهذا النبي ومواساة له، فعناية الله - عزّ وجلّ - لرسله - عليهم السلام - مستمرة لا تنضب، فجاءت هذه الصيغة لتدلّ على تجدد لهذه الرعاية واستمرار لها، فهي لا تزول. وقد أُكّدَ هذا التكريم مكرَّراً باستخدام لفظة (بأعيننا)، لأنّ قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ أبلغ من حفظنا، يقول القائل: "اجعل هذا نصب عينك ولا يقول: احفظه طلباً للمبالغة"[227] في الرعاية، ثم لا ننسى أن

الله قد شرّف نوحاً - عليه السلام - حين قال فيه: "عبدنا" من حيث إنّ "الإضافة إلى الله - عزّ وجلّ - فيها تشريف منه؛ فمن خصّصه بكونه عبده شرف؛ ذلك لأنه قد حقّق العبوديّة الخالصة فصار عبده"[228].

3 - على نقيض من المشهد السابق نلمح سرّاً بلاغيّاً لاختيار صيغة المضارع (تنزع)- على الرغم من أن الحديث قد جاء معبّراً عن تصوير مشهد قد حدث وانتهى- من قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[229]، من حيث إنّ هذه الصيغة تناسب تصوير المشهد الباعث على الرعب في قلوب المتلقين وهو يلتقط - وأعني الفعل المضارع - صوراً لهول التعذيب والتنكيل بأولئك الذين كذبوا هوداً - عليه السلام - من قوم عاد كي تكون عبرة للذين كانوا - أو أرادوا أن يكونوا - على شاكلتهم، فهي صيغة تحيي المشهد وتبعث فيه روح التجدد والاستمرار؛ ذاك أنها تقلعهم بل تنزعهم نزعاً بعنف، كأنهم أعجاز نخل تقعرهم (فينقعروا) في إشارة إلى قوتهم وثباتهم على الأرض، فقد "كانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدي بعض، ويدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم"[230].

وبعد، فتظلُّ مناسبة هذه السورة - وجوّها العام - حاضرة في الإيقاع المورفولوجي المتولّد من التناغم والتجانس بين تلك الصيغ المستحضرة في هذه السورة لتجسد المعاني الصاخبة الغاضبة التي أراد ربّ العزّة بيانها وتشيء بها، اعتماداً على الترابط بين الصيغة والدلالة. إذ إنّ في اختيارات النظم القرآني للصيغ الصرفيّة السائدة دليلاً فاعلاً على تعاضد هذه البنى لتحقيق الهدف المنشود من خلال تماوجها داخل النصّ القرآني هذا.

ثالثاً - البعد التركيبي (النحويّ) في السورة

لقد تحدّث عبد القاهر الجرجاني حديثاً مسهباً عن هذا البعد ودلالته من خلال ما عرفته العربيّة عن هذا العالم الجليل من نظريّة "النظم"، إذ قال: "ومعلوم أن النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب

بعض"[231]، ثم قال: "وكنّا قد علمنا أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم"[232]. كما ألمح إلى هذا كثير من العلماء القدماء مدللين على ذلك بشواهد من النظم اللغوي تكشف عن علاقة التركيب بالدلالة[233].

وعليه يتناول البحث جملة من المعاني التي بزغت من بعض المظاهر النحويّة الساطعة في هذه السورة، وقد حققت فيها إشعاعاً بانتظامها البنائي الذي سلكت؛ ذلك أنّ الكلمات ترد على حسب ترتيب المعاني المستكنة في النفس بعد أن تتخذ تلك المعاني ترتيباً مقصوداً في النفس [234]، فسلك البحث لهذه الغاية الوقوف عند المظاهر النحويّة التالية كي تكون شاهدة على الإبداع الدلاليّ والسر البلاغيّ لذات النصّ، وتلك هي:

1 - المنظومة الزمنيّة في سورة القمر:

تظهر الصيغ الزمنيّة في سورة القمر متماوجة بين الأزمان الثلاثة: الماضية والحالية والمستقبليّة، وقد جاء كلّ منها ليخدم الغرض الدلاليّ الذي من أجله قد انتظمه النظم القرآني في هذه السورة الكريمة. فقد غلبت الأفعال الماضية في وجودها وظهورها على الفعلين الآخرين لمّا كان الحديث فيها يدور حول وقائع قد انقضت وانتهى وقوعها إلّا في كتاب الله العزيز الجبّار. فتطالعنا السورة بقوله - عز وجل -: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[235] بغية بعث الرهبة فيما يتأتى للأنفس من مرض في المستقبل من أن الساعة قد اقتربت وأنّ أمر إقرار وقوعها قد حان. يقول الطبري - رحمه الله -: "وقوله (اقتربت) افتعلت من القُرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذاراً لعباده بدنو القيامة، وقُرب فناء الدنيا، وأمرٌ لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون"[236]، فاستخدم لهذه الدلالة الجملة الفعليّة المبدوءة بالفعل الماضي "لتحقق الوقوع"[237]؛ أي بما يدلّ عليه هذا الفعل ها هنا من حدث منتهٍ، فهو قدر لا سبيل إلى منعه أو دفعه، جاعلاً من هذه الجملة محوراً دلاليّاً تدور في فلكه طائفة كبيرة من الجمل بعدها، وقد ارتبطت بها إما معطوفة عليها وإما نعتاً

لشيء مما يتعلق بها. ليجد البحث بعد ذلك أن الأفعال الماضية قد تمحورت حول تصوير الأحداث التي وقعت ومسيرة الرسالات المذكورة التي حدثت في هذه السورة، نحو: (**كذّبوا، اتبعوا، كذّبت، قالوا، دعا، فتحنا، فجّرنا، التقى، حملناه، أرسلنا،** نادوا، **تعاطى، فعقر، نجيناهم، شكر، أنذرهم، تماروا، طمسنا، أخذناهم، خلقناه، فعلوه**)[238].

بل نلحظ في اختيار النظم القرآني التوكيد لبعض تلك الأفعال ولغيرها سرّاً جميلاً، وذلك حين يتعلّق الأمر بحدث جلل سواء أكان هذا الحدث الجلل سلبياً متعلقاً - في غالبه - بتكذيب الرسل والعذاب الذي لحق بكل قوم منها أم كان ذاك إيجابياً متعلقاً بما أنزل الله في القرآن من تيسير وسهولة من نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾[239]، أو لأمر كان ﴿قَدْ قُدِرَ﴾[240]، و﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[241]. إذ لا نجد حديثاً عن تكذيب للرسل -عليهم السلام- وعن تصرفات مشينة فعلها أقوامهم بهم إلّا ونجد جملة قد طالعتنا بمؤكد لمضمونها على ما في هذه الجملة المؤكدة من قسم "لأنّ (لقد) لا تكون إلّا جواباً لقسم ملفوظ أو مقدّر"[242]، والتقدير: (والله... لقد)، وهو قسم تقاضاه السياق كي يكون تقريراً لمضمون ما سبق[243]. وعلى ما تقدم فإنّ تكذيب الملحدين لمحمد (ﷺ) - فيما نحسب - قد أحدث جرحاً في القلب؛ ذلك أنهم وعدوه أن يصدقوا به إن جاءهم بآية أو بهذه الآية عينها[244] وهي آية "انشقاق القمر"، فلما كانوا على ما هم عليه من التكذيب فقد جاء الأسلوب مكثّفاً زاجراً مؤنباً هادفاً كشف ما في الماضي من صور لهذا التكذيب، وقد استخدم لهذا الغرض الفعل الماضي مؤكداً بـ(لقد) مسنداً بجملة القسم، فحذف المقسم به، واكتفى بالجواب لقوة الإيحاء والدلالة عليه، من نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[245]، وقوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[246]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾[247]، و﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾[248] و﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾[249]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾[250]، و﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾[251]،

و﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾[252]. وإن توكيد تلك الأفعال الماضية لم يجئ من لدن ربّ العالمين لإنكار وقوعه، فليس منّا مَن ينكر وقوعه، وإنما جاء لإنكار عدم الاتعاظ بمقتضى هذه المعرفة.

ثمّ نجد أنّ الزمن قد تماوج إلى الحاضر ليشحن في ذاكرة المتلقي أن ما ينفك يمارسه ويعاقره قد يوقعه - لا بل هو كذلك - بالذي وقع غيره فيه من الأمم السابقة، لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ليأتي بعد هذا وعيد السماء بنقل الأفعال إلى المستقبل الممزوج بالحاضر في تصوير مشهد مرعب من مشاهد يوم القيامة، وقد دعا نبيه محمداً (ﷺ) أن يعرض عن هؤلاء المكذبين من قومه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[253]، يوم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[254]، و﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[255]، وقد نزعتهم الريح الصرصر، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[256]، وقد نزعتهم الريح الصرصر، ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[257].

وهم ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾[258] في وعيد مستقبلي منوط بحركة دالّة على عدم الانقضاء والانقطاع بل الاستمرار لكل الذين كذّبوا الرسل لقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[259]، يوم قالوا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾[260]، فقبلهم استكبرأقوام قائلين: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾[261] فانظر ماذا كان نصيبهم من العذاب، وأما أنت يا محمد فسيكون جزاؤك جزاء عبدنا نوح يوم حملناه على ألواح: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[262]، و﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾[263]. والناظر للفعل المضارع (سيعلمون) يجد اقتران هذا الفعل (بالسين) هذه الأداة الدالّة على الاستقبال والتوكيد، ولهذا فقد سُمّيت (السين) بـ(حرف تنفيس) أو (توسيع) لأنّه حرف ينقل دلالة الفعل المضارع إلى المستقبل القريب[264]، ولهذا يقول الألوسي: "السين لتقريب مضمون الجملة وتأكيدها"[265] أي أنّ استخدام ربّ العزّة (السين) كان لهدف مقصود يعاضد في مضمونه مضمون قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[266] من حيث إنها ليست ببعيدة عنهم، لا بل فسّرها أبو

حيان بمثل ما قدّمنا قائلاً: "قل لهم يا صالح وعداً يُراد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي يلي يوم خطابهم، فاحتمل أن يكون يوم العذاب الحالّ بهم في الدنيا وأن يكون يوم القيامة"[267]. كما أُكِّد هذا القرب باستخدام ربّ العزة لفظة (غداً) في دلالة توحي بشدة هذا القرب ودنو أجله، يقول القرطبي: "(وغداً) على التقريب على عادة الناس في قولهم للعواقب: إن مع اليوم غداً، فهو تصوير مُختزِل للزمن القادم أيّاً كانت مدته ووقته"[268]، وقد افتعلته الأفعال المضارعة بما اقترنت به من أدوات لتدُلّ على تكثيفه وتقريبه.

أما أفعال الأمر فقد تضاءل وجودها في هذه السورة؛ وذلك كي تكون هذه الظاهرة شاهدة على تواشج المعاني الكليّة التي تخدم الغرض العام والمعنى المقصود وهو(اقتراب الساعة)، إذ جاءت تلك الأفعال لضرورة اقتضاها السياق، فحضرت في صورة تقابليّة بين ما هو مطلوب: ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾[269] ممّن كان قد (عَبَدَ، وشكرَ، وصبرَ)، إذ ليس عليه إلّا أن ينتظرهم ويتبصّر ماذا هم فاعلون، وليصبر على أذاهم ولا يتعجل حتى يأتي أمر الله[270]، فإن غُلب فليدعُ الله قائلا: ﴿أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾[271]، وبين ما هو واقع على الذي(جحدَ، وكفرَ وكذّبَ): ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[272]، و﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[273] كي تبقى هاتان الصورتان المتقابلتان هاجساً يلحّ على ذاكرة الزمان، فيقوّم المعوّج ما نهجه من سلوك مغلوط، ويصطبر الصالح على ما يلقاه من فنون التكذيب والاستكبار حتى يبلغ مراتب السعادة والصفاء، ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾[274].

2 - البناء للمجهول:

ويتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾[275]، والغرض من هذا البناء هو إقرار ما في أنفسهم من جحود ونكران لهذه النبوة، "فهو استفهام معناه الإنكار"[276]، إنّ هذا السياق وهذا البناء يفصحان عن قلوب مغلّفة مفعمة بالحقد غافلة - أو هي تريد أن تكون كذلك- عن قدرة الشارع - جلّ وعلا - لهذه النبوّة، على ما في هذا الفعل من دلالة

على عنصر المفاجأة لأمر هذه النبوّة؛ ذلك أنها ألقيت إلقاءً، ثم إنّ "النفي بطريق الاستفهام أبلغ؛ لأنّ مَن قال: ما أنزل عليه الذكر ربما يعلم أو يظنّ أو يتوهم أنّ السامع يكذبه فيه، فإذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه: أنّ السامع يجيبني بقوله: ما أنزل، فيجعل الأمر حينئذ منفيّاً ظاهراً، لا يخفى على أحد، بل كلّ أحد يقول ما أنزل "[277]. كما أن "في قولهم: (ألقي) بدل (أأنزل) إشارة إلى ما كانوا ينكرونه من طريق الزيادة والمبالغة في الإنكار؛ وذلك لأن الإلقاء إنزال بسرعة، وعجلة في الفعل[278]. يقول الرازي في هذا: "وقولهم (أألقي) بدلاً عن قولهم (أألقى الله) للإشارة إلى أنّ الإلقاء من السماء غير ممكن فضلاً عن أن يكون من الله تعالى"[279] هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن في هذا البناء- وأعني البناء للمجهول- غرضاً بلاغيّاً مقصوداً وهو صرف النظر عن الفاعل لدلالة السياق عليه، ولفت ذات النظر إلى الانشغال بالمفعول بما يحمل من دلالة مهمّة. ويتجلى ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[280]، و﴿وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾[281]؛ إذ بُني الفعل(ازدُجر) للمجهول كي تقع عيناك على الفعل المشين الذي جاؤوا به وهو (الزجر)، وتهميش الفاعل (قومه) وعدم الاهتمام به لوضاعته. ومنها قوله تعالى- ولكن على نقيض من الأمر السابق، وهو الاهتمام بالحدث دون الالتفات إلى الفاعل لأهميته وعظمته؛ إذ هو معلوم راسخ في الذهن، وقد دلّ عليه السياق: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[282]، و﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[283]، فحذف الفاعل (نوح) للتحبّب والتكريم، وتنزيهه عن هذا القَدْر الذي أنزله قومه فيه.

3 - التنكير والتعريف

ويتجلّى هذا في استخدام النظم القرآني التنكير والتعريف للفظتي: (كذّاب، أشر)، فقال تعالى على لسان قوم صالح: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[284]، ففي هذه الآية سرّ بلاغيّ جميل ذلك؛ أنهم استخدموا لهاتين الصفتين (كذّاب أشر) التنكير في دلالة على أنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنّه ليس هو الكذّاب الأشر، وأن صالحاً بعيد كلّ البعد عن هذه الصفات التي

توحي بالتبطّر والتجبر والكبرياء[285]، ففائدة التنكير في هذا السياق نفخُ هاتين الصفتين عن نبي الله (صالح)، عليه السلام، ومما يؤكد هذا الأمر اختيار النظم القرآني (التعريف) لهاتين الصفتين ساعةَ جاء الكلام على لسان ربّ العزّة، وهو القائل: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾[286] يوم تردون إلى ربكم. كما يتجلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾[287]، إذ جيء بلفظة (آية) منكرة، و"التنكير في الآية للتعظيم؛ أي أن يروا آية قويّة عظيمة يعرضوا"[288] فهي للدلالة على العموم[289]. وتتجسّد أيضاً في قوله تعالى ﴿وَنَهَرٍ﴾[290]؛ إذ إنّ التنكير في اللفظة للتعظيم[291]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾[292] أي: الباردة، وقيل: المصوّتة شديدة الصوت[293]، فلم يعرّف الريح كما عرّفها في الذاريات: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾[294]، وذلك لأن العقم في الريح أظهر من البرد الذي يضرّ النبات، أو الشدّة التي تعصف الأشجار؛ لأنّ الريح العقيم هي التي لا تنشىء سحاباً ولا تلقح شجراً، وهي كثيرة الوقوع، وأما الريح المهلكة الباردة فقلما توجد وهي (الريح الصرصر)، فلندرتها وقلّة وقوعها نكّرها ربّ العزّة كي تكون آية عظمى شاهدة على هول العذاب الذي لحق بهم[295]. ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَبَشَرًا﴾[296] إذ إنّ في الأسلوب إنكاراً لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية؛ لأنهم يريدونه من جنس أعلى[297]، ثمّ إنهم لم يقولوا: أصالحاً نتبع أم الرجل الذي يدّعي النبوة ليتركوه دون تعريف؛ فيكون التنكير بهذا دالاً على عدم التعيين؛ و"ذلك للتحقير"[298].

4 - أسلوب الحذف

ونعني به حذف اللفظة عن البنية السطحيّة للنظم القرآني والاكتفاء بتقدير وجودها. فقد بلغ الأداء البياني في النظم القرآني في سورة القمر غايته لا في استيفاء أركان التراكيب الظاهرة فحسب بل في الوقوف على أركانها المحذوفة المقدرة أيضاً، وظاهرة الحذف في النصوص الأدبيّة ظاهرة عامّة مطردة بيد أنها تخضع لمعايير فنيّة وذوقيّة رفيعة، قصد إليها العرب هادفين في ذلك منذ

القديم، فشاعت في نصوصهم وقد بلغت من التأثير ما بلغت، فجاء ربهم ليعجزهم بهذا القرآن بسحره البيانيّ وتراكيبه الدقيقة وبلغة ليست ببعيدة عن لغتهم، بل هي هي، إلا أنها أرفع منها مستوى في البناء اللغويّ وأعلى إشراقة بألفاظها الإيحائيّة، وكانت لظاهرة الحذف في سورة القمر حظوة من هذا البيان وسحره على ما سنرى :

أ - **حذف المبتدأ وإظهاره**: ويتجلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[299]، إذ يرى أهل اللغة في إعراب (سحر) أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذا)[300]، ونلمح سرّاً بيانيّاً لهذا التقدير وهذا الحذف، وهو أن الله - سبحانه وتعالى - أراد هادفاً - فيما نحسب - جذب الأنفس إلى ما قيل باعتبار أنّ المخبر عنه قد سبقت الإشارة إليه، فلو قال: "هذا سحر مستمر" لكان في (هذا) تكرار قد يشغل ذهن المتلقين به، فينصرف الفكر ولو للحظات للعودة إلى ما رأوه والانشغال به، وهو ما لا يريده الباري ويستحسنه السياق. وهو عينه ما نراه في قول الله - عزّ وجلّ - على لسان الذين جحدوا بنوح: ﴿وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾[301]، (فمجنون) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا[302]، ويكمن المراد في هذا الحذف في صرف النظر إلى ما قيل عن سيدنا نوح - عليه السلام - ولفت انتباه المتلقي إلى المستوى الوضيع الذي وضعوه فيه حتى استحقوا العذاب الذي أُنزل بهم، ثم إنّ في حذف اسم الإشارة الدال على الرسول دلالة على أنّه نكرة ليس له وجود في التركيب كما هو ليس موجوداً في حياتهم، وتفصح مسألة المقارنة عمّا ذهبنا إليه بين هذا التركيب من السياق وقد حذف المبتدأ الدال على سيدنا نوح، عليه السلام، وسياق آخر جاء فيه التركيب مظهراً للمبتدأ الدال على سيدنا صالح، عليه السلام، وذاك حين قال ربّ العزّة على لسان قومه: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[303]، فـ(هو) ضمير رفع منفصل مبنيّ في محل رفع مبتدأ[304]. وعلى هذا التقدير نقول: لقد أراد قومه قاصدين بهذا البيان والظهور

للمبتدأ (هو) تأكيد أن صالحاً هو عينه الكذاب الأشر ليس غيره، فلا ينصرف الفكر عنه ولا يحيد، ثم لا ينصرف الذهن عن الذي قالوه فيه من أنه هو الكذّاب الأشر. ومثله في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾[305]، (فنحن) ضمير رفع مبنيّ في محل رفع مبتدأ[306]، فأظهر النظم القرآني المبتدأ كي يؤكد صراحة على خصوصيّة التكبّر الذي فيهم لا في غيرهم.

ب - **حذف الفعل**: ويتجلّى هذا في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[307]، فقد قدّر بعض النحويين أن تكون (يوم) منصوبة بإضمار (اذكر)، فيكون (يوم) مفعولاً به لا ظرفاً[308]، فإن صحّ هذا التقدير وجاز فإن فيه بياناً وسحراً أيضاً من حيث إنّ في ذكر فعل الأمر (اذكر) إلى جوار فعل الأمر (تول) تكراراً يثقل على المتلقي قبوله واستساغته، ثم إنّ فيه فتوراً لسحرٍ بيانيّ أراده ربّ العالمين، وهو الانشغال بما سيحصل يوم يدعو الداعي، وما أكد ذلك أن الله - عزّ وجلّ - جعل فاعل الفعل (يدع) ضميراً مستتراً وذلك كي لا ينصرف المتلقي إلى الانشغال به عمّا سيحصل آنذاك، مع علمنا الآكد أنّ الله - عزّ وجلّ - هو صاحب هذه الدعوة وآمرها، وأنّ الداعي هو منفّذها. ومن نحو هذا قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾[309]، فـ(بشراً) مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور وتقديره: أنتبع[310]، وإنما حذف النظم القرآني الفعل وأبقي المفعول به لدلالتين: (**أولاهما**) لعدم تكراره، وهو ما لا يسوغه السياق ويجوّزه بيانياً. و(**الأخرى**) بهدف صرف نظر المتلقي للسبب الذي من أجله قد جحد بهذا النبي من حيث إنه (بشر)، وفي هذا دلالة على التحقير لهذا النبي من قومه، وقد أُكّد هذا السبب بسبب آخر وهو (واحداً) "إنكاراً لأن تتبع الأمّة رجلاً واحداً"[311]. ومن مثله في سياق آخر لكنه لغرض دلاليّ مغاير قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[312]، إذ جاء تأكيد (كلّ) لإظهارها كي ينجذب الانتباه إليها

كليّة، فهي مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور "خلقنا"[313]، وقد كفى رب العزة الإشارة إلى فاعلها مؤكداً بـ"إنّا".

ج - **حذف الفاعل** من التركيب وجعله محذوفاً على الجواز وتقديره (هو)[314]: ويبدو هذا في قوله تعالى: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[315]، وذلك كي ينصرف الفكر إلى الانشغال بما فعله هذا الشقي من جرم مشين كبير، وصرف النظر عن فاعله لتحقيره والازدراء به. ثمّ إنّ هذا الحذف يتناسب والعجلة التي دلّت عليها عمليّة التعاطي وعمليّة العقر؛ الأمر الذي يؤكده اختيار النظم القرآني لأداة العطف (الفاء) بدلاً من غيرها وذلك لتفيد مع العطف التعقيب الذي لا تراخي فيه، فلا يكون في هذه الأفعال المشينة أي دلالة على التراخي مع ما في هذه الأداة من دلالة على السببيّة[316].

د - **حذف نائب الفاعل** عن سطح النظم القرآني وتقديره بـ(هو)[317]: ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[318]، والمقصود به نبيّ الله (نوح)، عليه السلام، وإنما حُذف من التركيب تقديراً ومحبّة من الله - عزّ وجلّ - لنبيه الذي ازدجر. وعليه فإنّ الله - سبحانه وتعالى - لم يذكر نائب الفاعل ظاهراً بل جعله مستتراً - وإن دلّ السياق عليه - تقديراً له ومحبّة. ثمّ إن في ذلك البناء تناغماً مع الفاصلة القرآنيّة (زُجِر)، تلك التي تتحدث عن النبي ذاته، فيتواصل بهذا البناء الملمح البيانيّ عينه.

هـ - **حذف الخبر** وجوباً من سياق الآية: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[319]، إذ تُعرب لفظة (مُدّكر) مبتدأ وخبره محذوف وجوباً تقديره هنالك[320]. وفي هذا التركيب تكثيف لصورة جميلة أراد بها الله - عزّ وجلّ - أن يكون (المُدّكر) حاضراً وخبره محذوفاً باعتبار أنّ ثمة شاغراً مفقوداً في التركيب كما هو الحال في الحقيقة، فيُسأل عن وجوده في التركيب كما يُسأل عنه في كلّ الأزمان والأماكن، وبمعنى أوضح نقول: إنّه لمّا كان "المدّكر" هو الهدف المقصود لبيانه والعثور عليه فقد أظهره الله - عزّ وجل - في السياق كي يكون التركيز عليه واضحاً، وإنّه لما كان هذا الخبر موجوداً في الحقيقة فقد أخفاه الله - عزّ وجل - من السياق.

5 - الجملة الاسميّة

ثمّة سرّ بلاغيّ في استخدام النظم القرآني الجمل الاسميّة في سورة القمر بنسبة تكاد توازي نسبة وجود الجملة الفعليّة، وقد جاءت جملاً اسميّة مثبتة ليست منفيّة، وفي هذا دليل على أنّ كلّ ما جاء من قصص الأنبياء ومعجزاته الدالّة على وحدانيّة الله - عزّ وجلّ - هي حقائق ثابتة. وعليه فقد تعاقب البناء اللغويّ والمعنى الدلاليّ في هذا الثبات كي تستشعر عظمة الخالق - عز وجل - بهذا الأمر أو ذاك.

لقد جاءت أغلب الجمل الاسميّة مثبتة بـ**(إن) و(أن) الناسختين المؤكدتين** - على ما في هذه الجمل من ثبات - من حيث إنّ الجمل الاسميّة دالّة على الثبوت والجمل الفعليّة دالّة على الحدوث والتجدد[321]. وإنما جاءت الجمل الاسميّة مثبتة كي تناسب جو النصّ الذي من أجله وضعت. فنوح - عليه السلام - ما كان ليدعوَ ربه إلّا بعد أن وصل إلى درجة لا يستطيع معها الصبر على إيذاء قومه له، ولهذا فقد واجه نوح ربه بالدعاء بعد أن أكد غلبة قومه له وقهرهم له بالجمل الاسميّة المؤكدة، فقال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[322]. كما جاء النظم القرآني بجملتين مؤكدتين في قصة صالح - عليه السلام - لإقرار أن الله - عزّ وجلّ - هو مرسل الناقة معجزة من قدرات الله لإعجاز عبيده، إذ قال: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾[323]، و﴿أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾[324]، وقد تزامن هذا التوكيد مع حقيقة أنّ الله هو خالق كلّ شيء بقدر، إذ قال ربّ العزّة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[325] مؤكداً الجملة الاسميّة بـ(إن) على ما فيها من ثبات تعزيزاً لها وشحنها بما يؤكدها توكيداً فوق تأكيد؛ لنخرج في النهاية بحقيقة آكدة لا مشادة فيها من ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[326]، و﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[327]. كما استخدم النظم القرآني لهذا الغرض - وأعني بعث مدلول الثبات في الجمل الاسميّة على ما فيها من ثبات - **أسلوب القصر** "بالنفي والاستثناء" في دلالة على الثبات الكليّ في الجملة؛ ليكون (أمر الله) نافذاً آكداً في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾[328]، إذ هو أمر مقتصر على إشارة صغيرة منه - عزّ

وجلّ - باستخدام لفظة (واحدة) الدالّة على القلّة في مقابل الكثير الذي يحدث نتيجة لهذا الأمر.

6- يستشعر البحث سمة إيقاعيّة أخرى ملموحة في هذه السورة وهي تكرار بعض العبارات كما هي داخل النصّ القرآني بما يُسمّى بـ(إيقاع العبارة). ونعني بإيقاع العبارة تكرار جملة بعينها دون تغيير في معناها أو مبناها في الوضعيّة التي اتخذتها داخل النظم القرآني، وقد استجمعت هذه العبارات ضروباً من التجاور اللفظي كي تشكل تجانساً يفضي إلى الإيقاع الصوتيّ الذي تحسُّ به الأذن متى سمعت سورة القمر. ومن بعض مظاهرها: تكرار عبارة **(هل من مدّكر)** ست مرّات[329]، وعبارة **(كيف كان عذابي ونذر)** ثلاث مرّات[330]، على ما فيها من "تهويل لما حلّ بقوم نوح من العذاب وإعظام له؛ إذ استأصل جميعهم وقطع دابرهم"[331]، فهو استفهام تعظيم وتعجيب[332]، ويرى الرازي: أنّ التكرار ها هنا للتقرير[333]. وعبارة **(لقد يسرنا القرآن للذكر)** ثلاث مرّات[334]ويرى الرازي: أنّ التكرار ها هنا للتذكار[335]هذا من جانب ومن جانب آخر يلمح البحث إيقاعاً آخر متأتٍّ تكرار بعض التراكيب بعينها تكراراً نحوياً وصرفياً لا دلالياً، فهو تكرار للمبنى لا للمعنى، من نحو تكرار التركيب التالي: **(فذوقوا عذابي ونذر)** مرتين[336]، وقد قيل: "وفائدة تكرار هذا، وتكرار (ولقد يسّرنا) التجرد عند استماع كلّ نبأ من أنباء الأولين للاتعاظ واستئناف التيقظ إذا سمعوا الحثّ على ذلك لئلا تستولي عليهم الغفلة"[337]، وتركيب **(ذوقوا مسّ سقر)**[338]. ومن ذلك تكرار التركيب التالي: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾[339]، و﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً﴾[340]، و﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا﴾[341]. ومن نحوه تكرار التركيب التالي: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾[342]، و﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ﴾[343]، و﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ﴾[344]، والتقدير (بالنذر) التي جاء بها (هود)، وإنما "لم يتعرّض لكيفية تكذيبهم روماً للاختصار ومسارعة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب"[345]. وعليه نقول: لقد توالت الألفاظ السابقة وفق نمط نحوي واحد، من نحو: **إنّا** (المبتدأ) - **أرسلنا** (الفعل الماضي) - عليهم - المفعول به: **(حاصباً، وصيحة، وريحاً)**. وملتزمة صيغاً صرفيّة متقاربة:

(**كذّبت** (فعّلت) - **بالنُذُر** (بالفُعُل) لتشكلّ هذه الألفاظ بتكرارها لحناً موسيقياً هي بمنزلة لازمة تشكل بؤرة دلاليّة للنصّ من حيث هي تكرار لوظيفة دلاليّة وجماليّة معاً؛ أي أنها ذات طابع جمالي تأثيري إلى جانب طبيعتها التأثيرية والعلائقية.

الخاتمة

بعد أن حاول هذا البحث تلمّس الدلالة في عناصر اللغة: الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة من الخطاب القرآني في سورة القمر لإظهار فرائد المباني وفوائد المعاني الكامنة في هذا النظم من خلال التنقيب عن وظيفة كلّ منها في التعبير- فقد وجد البحث أنّ العناصر اللغويّة قد جاءت متآخية متعانقة فيه، يأخذ بعضها بيد بعض من الصوت إلى التركيب في دقة وإيجاز وروعة بيان مُعجز. لقد ظهرت هذه العناصر مجموعة متناسقة معبرة عن دلالة موحدة من خلال النظم الذي حضرت هي فيه ليؤدي هذا التناسق إلى اكتمال معاني الصورة الحسيّة والمعنويّة فيها.

فكشف هذا البحث عن العلاقة بين الصوت والدلالة من حيث التأثير الدلاليّ الذي يؤديه الصوت في النصّ باعتباره البنية الأولى في دراسة أي نصّ رفيع، كما بيّن أنّ مناسبة هذه السورة- وجوّها العام- ظلّت حاضرة في الإيقاع الصوتيّ المتولّد من التناغم والتجانس بين تلك الأصوات في مخارجها وفي صفاتها لتجسد تلك المعاني الصاخبة الغاضبة اعتماداً على الترابط بين الصوت والدلالة. فقد سادت في سورة القمر الأصوات ذات الإسماع القويّ، تلك التي تدلّ على تأبّي النفس من فحش هذه الأفعال ورفضها رفضاً مطلقاً، وإظهار قوّة مشهد الوعيد لأصحابها لقوة الصفات الصوتية التي ظهرت في تلك الأصوات ذات النغمة العالية.

كما كشف البحث من خلال الربط بين المبنى والمعنى والبحث في العلاقة بينهما للاستفادة مما تقدمه الصيغة الصرفيّة من دلالة - أنها علاقة وطيدة ظاهرة مقصودة، لا في دلالاتها الإفراديّة فحسب بل في المعاني الوظيفيّة التي

تقدّمها تلك الصيغ في حال التركيب أيضاً. فقد ساد في هذه السورة من الصيغ الصرفيّة ما هو ماض في سبيل تحقيق الرؤية الحقيقية لمشهد التكذيب والنكران لوحدانيّة الله المتمثلة بنكران آياته وتكذيب رُسُلِه في صورة جذوة لهيب مستمرة متجددة (مشهد تعذيب المكذِّبين)، ومشهد حُرقة حزن وألم على النفوس المقدّسة من ربّها، والمُعذّبة بتكذيبها وتعذيبها من قبل أقوامها (مشهد تكذيب الرسل).

كما كشف البحث من خلال الوقوف على بعض المظاهر النحويّة الساطعة في هذه السورة أنها قد حققت فيها إشعاعاً دلالياً بانتظامها البنائي الذي سلكت. فوقف البحث عند المنظومة الزمنيّة في سورة القمر، وقد ظهر له أن الصيغ الزمنيّة متماوجة بين الأزمان الثلاثة: الماضية والحالية والمستقبليّة، وإن غلب وجود الأفعال الماضية وظهورها على الفعلين الآخرين بسبب من أنّ الحديث فيها يدور حول وقائع قد انقضت وانتهى وقوعها إلا أنّه قد جاء كلّ منها يخدم الغرض الدلاليّ الذي من أجله قد انتظم النظم القرآني هذا الفعل أو ذاك في هذه السورة الكريمة. كما وقف البحث عند ظاهرة البناء للمجهول فتبيّن له أن في هذا البناء غرضاً دلالياً مقصوداً وهو صرف النظر عن الفاعل لدلالة السياق عليه ولفت ذات النظر إلى الانشغال بالمفعول بما يحمل من دلالة مهمّة، أو الاهتمام بالحدث دون الالتفات إلى الفاعل لأهميته وعظمته من حيث هو معلوم راسخ في الذهن قد دلّ عليه السياق. كما لفت انتباه هذا البحث استخدام النظم القرآني التنكير والتعريف لبعض ألفاظ السورة كاشفاً عن أن هذا الأمر جاء لدلالة مقصودة. كما بيّن البحث سرّ حذف اللفظة عن البنية السطحيّة للنظم القرآني والاكتفاء بتقدير وجودها استناداً إلى أنّ الأداء البياني قد بلغ في النظم القرآني في سورة القمر غايته لا في استيفاء أركان التراكيب الظاهرة فحسب بل في الوقوف على أركانها المحذوفة المقدرة أيضاً.

كما كشف البحث عن السرّ الدلاليّ في استخدام النظم القرآني الجمل الاسميّة المثبتة من حيث إنّ كلّ ما جاء من قصص الأنبياء ومعجزاته الدالّة على وحدانيّة الله - عزّ وجلّ - هي حقائق ثابتة قارّة لا تشكيك فيها. وكشف البحث

أيضاً عن سمة إيقاعيّة أخرى ملموحة في هذه السورة تلك هي تكرار بعض الجمل بعينها دون تغيير في معناها أو مبناها، إذ استجمعت هذه الجمل ضروباً من التجاور اللفظي كي تشكل تجانساً يفضي بنا إلى الإيقاع الصوتيّ الذي تُحسُّ به الأذن متى سمعت سورة القمر.

الهوامش والمراجع

(1) السامرائي، فاضل: **التعبير القرآني**، ط4، عمان: دار عمار، 2006، ص20.

(2) ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل(774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، ج4، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 442-443. المعافري، أبو محمد عبدالملك بن هشام: **السيرة النبوية**، المعروفة بسيرة ابن هشام، تحقيق: جمال ثابت وآخرين، ط2، ج1، القاهرة: دار الحديث 1998، ص 222. الجرجاني، عبد القاهر(ت471 هـ): **دلائل الإعجاز**، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، بيروت: دار المعرفة، 1981، ص314.

(3) بشر، كمال: **علم اللغة العام (الأصوات العربية)**، مكتبة الشباب، 1987، ص184.

(4) انظر لهذا الأمر: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (370هـ): **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مراجعة: محمد النجار، ج12، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964، باب الصاد والراء، 106. وسيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (180هـ): **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط4، ج1، بيروت: دار الجيل، ص14.

(5) ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**، تحقيق: محمد النجار، ط2، ج2، بيروت: دار الهدى، ص145-146.

(6) من هذا ما أورده سيبويه عن الخليل في الكتاب، 4/ 75. وانظر رأي سيبويه في الكتاب 4/ 55، 4/ 64، 4/ 68-69. الخصائص، 2/ 152-153. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج1، بيروت: دار الجيل، ص330. السامرائي، فاضل صالح: **معاني الأبنية في العربيّة**، ط1، عمان: دار عمار، 2005م. حسان، تمام: **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، ط5، القاهرة: عالم الكتب، 2006. هنداوي، عبد الحميد أحمد: **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**، ط1، الأردن، أربد: عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العلمي، 2008م.

(7) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص47.

(8) ذريل، عدنان: **النصّ والأسلوبية، بين النظرية والتطبيق**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002، 33. قاسم، عدنان حسين: **الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي**، ط1، عجمان: مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ص192. تودوروف: **الشعرية**، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء سلامة، المغرب: دار طوبقال للنشر، 1987،

ص30. دي سوسير: **محاضرات في الألسنية العامة**، ترجمة: يوسف غازي مجيد نصر ط1، لبنان: دار النعمان، 1984، 34. عبد اللطيف، محمد حماسة: **النحو والدلالة**، مدخل لدراسة المعنى النحوي، ط1، القاهرة: دار السلام، 1983، ص138.

(9) ابن الأثير، ضياء الدين (ت 637 هـ): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد الحوفي وبدوي طبانة، ج3، القاهرة: دار نهضة مصر، 22. دلائل الإعجاز، ص44.

(10) حنا، سامي عياد: **معجم اللسانيات الحديثة**، لبنان: مكتبة لبنان (د. ت)، 28 -29، نهر، هادي، **التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية**، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2008، ص20 -21.

(11) انظر: عيد، رجا: **البحث الأسلوبي** معاصرة وتراث، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1993م، 55، 115. وانظر، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، ص134، 188. النحو والدلالة، 10. المصري، يسريّة: **بنية القصيدة في شعر أبي تمام**، القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1997، ص5.

(12) شابسوغ، حفيظة: **الجملة الخبرية والجملة الطلبية**، تركيباً ودلالة، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2004م، ص2.

(13) حسان، تمام: **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص9.

(14) الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين (604هـ): **تفسير الفخر الرازي**، ج29، بيروت: لبنان، دار الفكر، 1990، ص29-30. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (538هـ): **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، ج4، ص431. الطبري، محمد بن جرير(310هـ): **تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام الحرستاني، ج7، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص159. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، اعتنى به وصححه الشيخ هشام البخاري، طبعة جديدة مصححة، ج17، بيروت: دار إحياء التراث العربي. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين البغدادي (1270هـ): **روح المعاني**، طبعه وصححه: علي عبد الباري عظيمة، ط1، ج14، بيروت: دار الكتب العلميّة، مكة المكرمة، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز 2001، ص73-74. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (745هـ)، **تفسير البحر المحيط**، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، ج8، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، 2001، ص170-171. الزجاج، أبو اسحاق إبراهيم بن السّري (311هـ): **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ج5، بيروت: عالم الكتب، ص81-82.

(15) تفسير الفخر الرازي، 29/ 35، ص37. تفسيرالطبري، مج: السابع، ص162.

(16) الأصوات التي تُسمع على مسافة أبعد هي أقوى الأصوات إسماعاً، أما التي لا تسمع إلا على

أقصر مسافة من المتكلم فهي أضعفها إسماعاً. أيوب، عبدالرحمن: **أصوات اللغة**، ط1، 1963م، ص134-135، وانظر تعريف هذا المصطلح: استيتية، سمير: **الأصوات اللغوية**، (رؤية عضوية ونطقية وفيزائية)، ط1، عمان، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، 2003، 169، ص207.

(17) عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**، القاهرة: عالم الكتب، 1997، ص287 -288. الأصوات اللغوية، ص207.

(18) علم اللغة العام، 130، ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط2، القاهرة: عالم الكتب، 1983، ص86، الأصوات اللغوية، ص140، الخولي، محمد، **الأصوات اللغوية**، عمان، الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع، 1990، ص94. السعران، محمود، **علم اللغة**، بيروت: دار النهضة العربية، ص168 -169.

(19) أنيس، إبراهيم: **الأصوات اللغوية**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1999. ص58. دراسة الصوت اللغوي، ص316 -317. الأصوات اللغويّة، ص 162.

(20) دراسة الصوت اللغوي، ص316-317، هلال، عبد الغفار: **أصوات اللغة العربية**، القاهرة: مطبعة دار التأليف، 1963م. ص123، مرعي، عبد القادر: **المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر**، الأردن: منشورات جامعة مؤتة، عمادة البحث العلمي، 1993، ص72. أنيس: الأصوات اللغوية، ص59، علم اللغة، ص169، 171.

(21) انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب (437هـ) **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط3، عمان، الأردن: دار عمار، 1996، ص131. الأصوات اللغوية، ص173.

(22) القمر، (1-55)، الفواصل القرآنيّة للسورة.

(23) الأصوات اللغوية، ص173.

(24) دراسة الصوت اللغوي، ص287، إذ يرى أنّ الصوائت تزيد من الوضوح الصوتي للكلمة. وانظر: الخولي، الأصوات اللغوية، ص158.

(25) انظر لهذه المسألة: ابن المؤدب (القاسم بن محمد بن سعيد عاش في القرن الرابع الهجري) **دقائق التصريف**، تحقيق: حاتم صالح الضامن وآخرين، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987، ص417. إذ النبر عنده: الرفع. ودراسة الصوت اللغوي، ص221. (النبر طاقة زائدة، وجهد عضلي زائد)، والعلاقة بين الجهد العضلي الزائد والوضوح السمعي للأصوات علاقة طرديّة): الأصوات اللغوية، ص174. حركات، مصطفى: **الصوتيات والفونولوجيا**، بيروت: المكتبة العصريّة، ص40.

(26) الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت 175هـ): **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1: دار مكتبة الهلال، (د. ت)، ص52. الكتاب، 3/ 548، ابن يعيش، (موفق الدين يعيش ابن علي، ت 643هـ): **شرح المفصل**، ج9، بيروت: عالم الكتب، ص107، . الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن النحوي، ت 686هـ): **شرح**

الشافية شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، ج3 بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1982. ص31، ابن جني (أبو الفتح عثمان ت 392هـ): **سر صناعة الإعراب** تحقيق: حسن هنداوي، ط2، ج1، دمشق: دار القلم، 1993. ص69 وما بعدها، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت 911هـ): **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، القاهرة: مكتبة دار التراث، (د. ت). 277. القيسي (مكي بن أبي طالب القيسي ت 437هـ): **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط5، ج1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997. ص72، الرعاية، ص145، ابن عصفور (علي بن مؤمن الإشبيلي، 669هـ): **الممتع في التصريف**، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط1، حلب: المطبعة العربية، 1970. ص404.

(27) الأنطاكي: **المحيط في الأصوات ونحوها وصرفها**، ط3، بيروت: دار الشرق العربي، شارع سورية. ص84. علم اللغة، 17-18، علم اللغة العام، ص112، أنيس: الأصوات اللغوية، ص89-90. الشايب، فوزي: **محاضرات في اللسانيات**، ط1، عمان: دار الثقافة، 1999، ص151.

(28) دراسة الصوت اللغوي، ص325-326، الخولي: الأصوات اللغوية، ص214-215، حسان، تمام: **مناهج البحث في اللغة**، المغرب، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1979، ص90، مالمبرج، برتيل: **علم الأصوات**، ترجمة: محمد حلمي هليّل، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 1994، ص115-116، المصطلح الصوتي، ص154.

(29) الأصوات اللغويّة، ص158. إذ إنّ التفخيم والأطباق تعملان على زيادة الوضوح الصوتيّ.

(30) الرعاية، ص212.

(31) الرعاية، ص124؛ الأصوات اللغويّة، ص158.

(32) القمر 19، 20.

(33) انظر لهذا الأمر: تهذيب اللغة، ج12، ص106.

(34) الكتاب، ج4، ص14.

(35) الخصائص، ج2، ص145-146.

(36) الصرة: شدة الصياح، تفسير الفخر الرازي، ج29، ص45. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص91.

(37) القمر، 31.

(38) تفسير الطبري، مج: السابع، ص169، روح المعاني، مج: 9، 14/ 88.

(39) القمر، 34.

(40) القمر، 36.

(41) القمر، 37.

(42) الكشّاف، ج4، ص438. تفسير الفخر الرازي، ج29، ص61، روح المعاني، مج: 9، 14,

ص90. تفسير البحر المحيط، مج: 8/ 180. تفسيرالطبري، مج: السابع، 171، معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص91.

(43) القمر، 38.

(44) القمر، 42.

(45) دراسة الصوت اللغوي، 325-326، الخولي: الأصوات اللغوية، ص214-215. مناهج البحث في اللغة، 90، مالمبرج، علم الأصوات، ص115-116، المصطلح الصوتي، ص154.

(46) القمر، 47، 48.

(47) ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ت711): لسان العرب، مادة (فشأ).

(48) الرعاية، 135، 227.

(49) علم الأصوات، ص120. الأصوات اللغويّة، ص159.

(50) القمر، 1.

(51) تفسير الطبري، مج: السابع، ص159. الكشّاف، ج4، ص431.

(52) القمر، 7.

(53) القمر، 31.

(54) دراسة الصوت اللغوي، ص325-326، الخولي: الأصوات اللغوية، ص214-215، مناهج البحث في اللغة، 90، علم الأصوات، ص115-116، المصطلح الصوتي، ص154.

(55) الأصوات اللغويّة، ص174. دراسة الصوت اللغوي، ص331-332.

(56) القمر، 1.

(57) علم الأصوات، ص109، الخولي، الأصوات اللغوية، ص32 -36، أنيس، الأصوات اللغوية، ص76، دراسة الصوت اللغوي، ص318، مناهج البحث في اللغة، ص125، علم اللغة، ص182-156، الأنطاكي، محمد: **دراسات في فقه اللغة**، ط4، بيروت: دار الشرق العربي، شارع سورية. ، 156، عبد التواب، رمضان: **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1985، ص221.

(58) دراسة الصوت اللغوي، ص316 -317، أصوات اللغة العربية، ص123، المصطلح الصوتي، ص65.

(59) الأصوات اللغوية، ص43-44، عبدالجليل، عبدالقادر: **الأصوات اللغوية**، ط1، عمان: دار صفاء، 1998، ص156.

(60) القمر، 1.

(61) الرعاية 135، ص227.

(62) الرعاية، ص124. علم اللغة العام، ص116. علم اللغة، ص161 -162.

(63) ابن الطحّان (أبو الأصبع، السماتي الإشبيلي، ت 560هـ): **مخارج الحروف وصفاتها**، تحقيق: محمد يعقوب تركستاني، ط1، بيروت: مركز الصحف الإلكتروني، 1984، ص96 -97.

(64) القمر، 20.

(65) الأصوات اللغوية، 76. دراسة الصوت اللغوي، ص319.

(66) الخولي، الأصوات اللغوية، ص32-36، الأصوات اللغوية، ص76. دراسة الصوت اللغوي، 318، مناهج البحث في اللغة، ص125، علم اللغة، ص182-156، دراسات في فقه اللغة، ص156، المدخل إلى علم اللغة، ص221.

(67) دراسة الصوت اللغوي، ص316 -317، أصوات اللغة العربية، ص123، المصطلح الصوتي، ص65.

(68) القمر، 20.

(69) تفسير الطبري، مج: السابع، ص166. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص92. روح المعاني، مج: 9، 14/ 86. تفسير البحر المحيط، مج: 8، 8/ 172.

(70) الجامع لأحكام القرآن، ج17/ 92. الكشّاف، ج4، ص436.

(71) القمر، 8.

(72) تفسير الطبري، مج: السابع، ص162. الكشّاف، ج4، ص433، روح المعاني، مج: 9، 14/ 80.

(73) القمر، 29.

(74) القمر، 24.

(75) القمر، 48.

(76) القمر، 4.

(77) القمر، 9.

(78) الزلزلة، 1.

(79) الأصوات اللغوية، 37، في البحث الصّوتي، ص58، أثر القراءات في الاصوات، ص209، مالبرج، علم الأصوات، ص120. الأصوات اللغوية، ص158.

(80) علم اللغة العام، 100، مناف مهدي، علم الأصوات اللغوية، ط1، بيروت: عالم الكتب 1998، ص47، فندريس، **اللغة**، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، 1950، 47. الصوتيات، ص86، ريمون طحان: **الألسنية العربية**، ط2، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1981، ص49، أسس علم اللغة، ص82، محاضرات في الألسنية العامة، ص62.

(81) الأصوات اللغوية، ص68-69. دراسة الصوت اللغوي، ص335.

(82) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 33. **تفسير الطبري**، مج: السابع، ص160. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص87.

(83) القمر، 9.

(84) روح المعاني، مج: 14/ 81، تفسير الفخر الرازي، ج29/ 36-37، الكشّاف، ج4/ 434.

(85) الخولي، الأصوات اللغوية، ص37، في البحث الصّوتي، ص58، أثر القراءات في الأصوات، ص209، مالبرج، علم الأصوات، ص120، الأصوات اللغويّة، ص158.

(86) القمر، الآيات على التوالي: 2، 3، 8، 19، 38، 47.

(87) القمر، 2، 19.

(88) القمر، 3، 38.

(89) القمر، 7.

(90) القمر، 11.

(91) القمر، 15، 17، 32، 40، 51.

(92) القمر، 20.

(93) القمر، 31.

(94) القمر، 42، 55.

(95) القمر، 44.

(96) معاني الأبنية في العربيّة، ص41-42. الإعجاز الصرفيّ في القرآن الكريم، ص232-233.

(97) القمر، 2.

(98) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص31-32، روح المعاني، مج: 9، 14/ 77. الكشّاف، ج4، ص432. الجامع لأحكام القرآن، ، ج17، ص86.

(99) تفسيرالبحرالمحيط، مج: الثامن (هو اختيار أنس، ومجاهد،والكسائي، والفراء، والنّحاس)، 8/ 171.، تفسير الطبري، مج: السابع، ص160. الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد (207هـ): **معاني القرآن**، تحقيق: عبد الفتاح شلبي ومراجعة علي النجدي ناصف، ج3، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص104.

(100) القمر، 38.

(101) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص32، الكشّاف، ج4، ص432.

(102) النساء، 56.

(103) الأحزاب، 66.

(104) تفسير الطبري، مج: السابع، ص160. تفسير البحر المحيط، 8/ 8/ 172.

(105) القمر، 7.

(106) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص35، روح المعاني، مج: 9، 14/ 80. تفسير البحر المحيط، 8/ 174، الكشّاف، ج4، ص433.

(107) القمر، 11.

(108) معاني الأبنية في العربيّة، ص41-42. الإعجازالصرفيّ في القرآن الكريم، ص181. التعبيرالقرآني، ص36.

(109) روح المعاني، مج: 9، 14/ 81. تفسيرالبحرالمحيط، 8/ 175. الكشّاف، ج4/ 434.

(110) القمر، 17.

(111) روح المعاني، مج: 9، 14/ 83. الكشّاف، ج4، ص436.

(112) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص43-44. تفسير البحر المحيط، 8/ 177. الجامع لأحكام القرآن، ، ج17، ص90.

(113) تفسير الطبري، مج: السابع، ص164. تفسير البحر المحيط، 8/ 176. معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص88.

(114) عبّر القدماء عن ظاهرة (المماثلة) بين الأصوات بمصطلحات عدة هي: (المضارعة) الكتاب، 4/ 477. 4/ 478. 4/ 477، 4/ 467، الكتاب، 4/ 195، سر صناعة الإعراب، 1/ 51، الخصائص2/ 139-145 (التقريب) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، ت 285هـ): المقتضب، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، ج1، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1385. 225. شرح المفصّل، 10/ 48، شرح الشافية، 3/ 231. همع الهوامع، 6/ 183، و(المشاكلة) الأشموني (أبو الحسن علي نور الدين بن محمد ت 919هـ). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، ج4، بيروت: لبنان، دار الكتاب العربي، 1955، ص601.

(115) القمر، 19.

(116) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص47، روح المعاني، مج9، 14/ 84. تفسير البحر المحيط، 8/ 171. الكشّاف، ج4، ص436.

(117) الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص91. تفسير البحر المحيط، 8/ 171 (هو اختيار أنس، ومجاهد، والكسائي والفراء والنّحاس).

(118) القمر، 20.

(119) تفسير الطبري، مج: السابع، ص166. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص92. روح المعاني، مج: 9، 14/ 86. تفسير البحر المحيط، 8/ 172.

(120) القمر، 38.

(121) القمر، 55.

(122) القمر، 44.

(123) الكشّاف، ج4، ص439.

(124) تفسير الطبري، مج: السابع، ص173.

(125) الجامع لأحكام القرآن، ج17/ 97، تفسير الفخر الرازي، ج29/ 68-69.

(126) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 48.

(127) الكتاب، 1/ 35، المفصّل، ص244، شرح المفصل، 7/ 4.

(128) القمر، 29.

(129) القمر، 35.

(130) معاني الأبنية في العربيّة، ص9-10، (في دلالة الاسم على الثبات).

(131) القمر، 34.

(132) القمر، 48.

(133) القمر، 49.

(134) القمر، 50.

(135) القمر، 54.

(136) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص80. روح المعاني، مج: 9، 14/ 94. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص100.

(137) روح المعاني، مج: 9، 14/ 94-95. تفسير البحر المحيط، 8/ 182. الكشّاف، ج4/ 441. تفسير الطبري، مج: السابع، 175. معاني القرآن، 3/ 111. معاني القرآن وإعرابه، ج5، 93.

(138) السامرائي، فاضل صالح، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، ط3، عمان: دار عمار، 2006م، ص172.

(139) القمر، 5.

(140) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص33. روح المعاني، مج: 9، 14/ 82. تفسير البحر المحيط، 8/ 172، 176. الكشّاف، ج4، ص440.

(141) القمر، 24.

(142) معاني القرآن، 3/ 108. الكشّاف، ج4، ص440.

(143) الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص98. تفسير البحر المحيط، 8/ 178.

(144) القمر، 6.

(145) الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 8/ 173.

(146) تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج29، ص34، تفسير البحر المحيط، 8/ 173. الكشّاف، ج4، ص433. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص79.

(147) روح المعاني، مج: 9، 14/ 78.

(148) القمر، 13.

(149) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص39، روح المعاني، مج: 9، 14/ 82. تفسير البحر المحيط، مج: الثامن، ص176. الكشّاف، ج4، ص435. معاني، القرآن، 3/ 106. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص89-90. معاني القرآن وإعرابه، ج5، ص87.

(150) روح المعاني، مج: 9، 14/ 82. تفسير البحر المحيط، 8/ 176.

(151) القمر، 43.

(152) روح المعاني، مج: 9، 14/ 94. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص97.

(153) تفسير البحر المحيط، 8/ 181. روح المعاني، مج: 9، 14/ 73.

(154) القمر، 45.

(155) تفسيرالفخرالرازي، ج29/ 68-69، تفسير البحر المحيط، 8/ 181. الكشّاف، ج4/ 440. معاني القرآن، 3/ 110.

(156) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 69، روح المعاني، مج: 9، 14/ 92. تفسير البحر المحيط، 8/ 181. الجامع لأحكام القرآن، ج17/ 97-98.

(157) هنداوي، علي: قصيدة كعب بن زهير (دراسة في البنية اللغوية والدلالة)، **مجلة علوم اللغة**، القاهرة: دار غريب، مج: 8، ع: 2005، ص103.

(158) معاني الأبنية في العربيّة، ص52. وانظر عبد الحميد، ليث أسعد: الزمن النحوي في الشعر الجاهلي، ط1، عمان: الأردن، دار الضياء للنشر والتوزيع، 2006، ص55. (في دلالة اسم المفعول).

(159) القمر: 15، 22، 32، 40، 51.

(160) القمر، 9.

(161) تفسير البحر المحيط، 8/ 174-175. وينظر: روح المعاني، مج: 9، 14/ 81. تفسير الفخر الرازي، ج29، ص36.

(162) القمر، 10.

(163) تفسير البحر المحيط، 8/ 177. تفسيرالطبري، مج: السابع، ص163. الجامع لأحكام القرآن، ج17/ 89. تفسير الفخر الرازي، ج29/ 44.

(164) يُنظر لهذا الأمر: تفسير البحر المحيط، 8/ 175.

(165) معاني الأبنية في العربيّة، ص52-53. تفسير البحر المحيط، 8/ 175.

(166) انظر: تفسير الفخر الرازي، ج29/ 36.

(167) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص37، روح المعاني، مج: 9، 14/ 81. تفسير البحر المحيط، 8/ 175. الكشّاف، ج4، ص434.

(168) القمر، 42.

(169) القمر، 55.

(170) لمسات بيانيّة في نصوص من التنزيل، ص172.

(171) روح المعاني، مج: 9، 14/ 95.

(172) لمسات بيانيّة في نصوص من التنزيل، ص173.

(173) روح المعاني، مج: 9، 14/ 95. الكشّاف، ج4، ص441.

(174) معاني الأبنية في العربيّة، ص152، صلاح شعبان: **أبنية المشتقات ووظائفها في شعر الأعشى**، القاهرة: دار غريب، 2006، ص16.

(175) القمر، 25.

(176) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص52.

(177) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص52.

(178) القمر، 7.

(179) تفسير البحر المحيط، 8/ 173.

(180) تفسير البحر المحيط، 8/ 174. معاني القرآن، 3/ 105.

(181) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 35.

(182) روح المعاني، مج: 9، 14/ 79. تفسير البحر المحيط، 8/ 174.

(183) الكشّاف، ج4/ 433. تفسيرالطبري، مج: السابع، 162.

(184) تفسير الطبري، مج: السابع، 162. الكشّاف، ج4/ 433.

(185) روح المعاني، مج: 9، 14/ 80.

(186) التعبير القرآني، ص34.

(187) القمر، 12.

(188) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص40.

(189) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص38. الكشّاف، ج4، ص434.

(190) القمر، 38.

(191) روح المعاني، مج: 9، 14/ 81.

(192) روح المعاني، مج: 9، 14/ 90. تفسير البحر المحيط، 8/ 180.

(193) القمر، 17، 22، 32، 40.

(194) تفسيرالفخرالرازي، ج29، ص43. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص90. معاني القرآن، 3/ 108

(195) تفسير البحر المحيط، 8/ 177. تفسير الطبري، مج: السابع، ص165.

(196) روح المعاني، مج: 9، 14/ 83.

(197) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص43.

(198) القمر، 2.

(199) الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص85.

(200) تفسير البحر المحيط، 8/ 177. تفسير الفخر الرازي، ج29، ص44.

(201) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص45.

(202) القمر، 3.

(203) القمر، 7.

(204) القمر، 20.

(205) القمر، 11.

(206) القمر، 51.

(207) معاني الأبنية في العربيّة، ص132.

(208) القمر، 7.

(209) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص35، روح المعاني، مج: 9، 14/ 80. تفسيرالبحرالمحيط، مج: الثامن، 8/ 174، الكشّاف ج4، ص433.

(210) القمر، 12.

(211) القمر، 37.

(212) القمر، 42.

(213) القمر، 31.

(214) معاني القرآن، 3/ 110، روح المعاني، مج: 9، 14/ 89. الكشّاف، ج4/ 438.

(215) تفسير البحر المحيط، 8/ 180.

(216) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 57.

(217) القمر، 50.

(218) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 75.

(219) روح المعاني، مج: 9، 14/ 94.

(220) القمر، 2.

(221) تفسير البحر المحيط، 8/ 171.

(222) القمر، 5.

(223) روح المعاني، مج: 9، 14/ 78.

(224) روح المعاني، مج: 9، 14/ 78، الكشّاف، ج4/ 433. الجامع لأحكام، القرآن، ج17/ 87. تفسير الطبري، مج: السابع، 165. معاني القرآن، 3/ 105.

(225) القمر، 13، 14.

(226) روح المعاني، مج: 9، 14/ 82. تفسير الفخر الرازي، ج29/ 40. الجامع لأحكام القرآن، ج17/ 90.

(227) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 40.

(228) تفسير البحر المحيط، 8/ 174. تفسير الفخر الرازي، ج29/ 36.

(229) القمر، 20.

(230) روح المعاني، مج: 9، 14/ 86. تفسير البحر المحيط، 8/ 178. الجامع لأحكام القرآن، ج17/ 92.

(231) دلائل الإعجاز، ص314.

(232) دلائل الإعجاز، 300، المخزومي، مهدي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، بيروت: الرائد العربي، 1986، ص14.

(233) فقه اللغة وسرّ العربية، ص332. الصاحبي، في فقه اللغة، ص246. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص22. وينظر كتابي: "دلالات التراكيب دراسة بلاغية" محمد أبو موسى، ط1، القاهرة: مكتبة وهبه، 1979. و"**التفكير الأسلوبي: رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي**"، سامي عبابنه، ط1، أربد: الأردن، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، 2007. على سبيل التمثيل؛ إذ حشد الكاتبان جملة من النصوص المنتقاة من المصادر التي يؤكد مضمونها فهم القدماء للعلاقة بين التركيب والمعنى.

(234) دلائل الإعجاز، ص44.

(235) القمر، 1.

(236) تفسير الطبري، مج: السابع، ص159.

(237) روح المعاني، مج: 9، 14/ 76.

(238) القمر، الآيات على التوالي: 3، 9، 24،

(239) القمر، 17، 32، 40.

(240) القمر، 12.

(241) القمر، 49.

(242) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 2/ 235، معاني الحروف، ص54. التعبير القرآني، ص133.

(243) روح المعاني، مج: 9، 14/ 83.

(244) الجامع لأحكام القرآن، ج17/ 86.

(245) القمر، 4.

(246) القمر، 15.

(247) القمر، 19.

(248) القمر، 36.

(249) القمر، 37.

(250) القمر، 38.

(251) القمر، 41.

(252) القمر، 51.

(253) القمر، 6.

(254) القمر، 7.

(255) القمر، 8.

(256) القمر، 48.

(257) القمر، 20.

(258) القمر، 26.

(259) القمر، 45.

(260) القمر، 44.

(261) القمر، 24.

(262) القمر، 14.

(263) القمر، 35.

(264) الكتاب، 4/ 233، شرح المفصّل، 7/ 6، مغني اللبيب، 1/ 138، معاني الحروف، ص109، اللغة العربية معناها ومبناها، ص245.

(265) روح المعاني، مج: 9، 14/ 88.

(266) القمر، 1.

(267) تفسير البحر المحيط، 8/ 179. وانظر: روح المعاني، مج: 9، 14/ 88. (عبر به لتقريبه).

(268) الجامع لأحكام القرآن، ج17/ 94.

(269) القمر، 27، 28.

(270) روح المعاني، مج: 9، 14/ 89.

(271) القمر، 10.

(272) القمر، 37.

(273) القمر، 48.

(274) القمر، 55.

(275) القمر، 25.

(276) الجامع لأحكام القرآن، ج17/ 93. تفسير الطبري، مج: السابع، ص167.

(277) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 51.

(278) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 51. روح المعاني، مج: 9، 14/ 88. تفسير البحر المحيط، 8/ 178.

(279) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 51.

(280) القمر، 45.

(281) القمر، 9.

(282) القمر، 12.

(283) القمر، 14.

(284) القمر، 25.

(285) انظر لمعنى (الأشر): روح المعاني، مج: 9، 14/ 88. تفسيرالبحرالمحيط، 8/ 178 ومابعدها. تفسيرالطبري، مج: السابع، 167. الكشّاف، ج4، ص437.

(286) القمر، 26.

(287) القمر، 19.

(288) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 31.

(289) روح المعاني، مج: 9، 14/ 77.

(290) القمر، 54.

(291) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص80.

(292) القمر، 19

(293) روح المعاني، مج: 9، 14/ 84. تفسير الطبري، مج: السابع، ص166. تفسير البحر المحيط، 8/ 177. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص91.

(294) الذاريات، 51.

(295) تفسير الفخر الرازي، ج29، ص45-46.

(296) القمر، 24.

(297) تفسير البحر المحيط، 8/ 178.

(298) روح المعاني، مج: 9، 14/ 87.

(299) القمر، 2.

(300) الهمذاني، حسين بن أبي العزّ (643هـ)، **الفريد في إعراب القرآن المجيد**، تحقيق: فهمي النمر، وفؤاد مخيمر، مج: 4، ص392، الكرباسي، محمد جعفر الشيخ إبراهيم، **إعراب القرآن**، مج: 7، بيروت: منشورات دار ومكتبة الهلال، ص658.

(301) القمر، 9.

(302) الفريد في إعراب القرآن المجيد، مج: 4، ص395، إعراب القرآن، . مج: 7، ص661.

(303) القمر، 25.

(304) إعراب القرآن، . مج: 7، ص669.

(305) القمر، 44.

(306) إعراب القرآن، . مج: 7، ص678.

(307) القمر، 6.

(308) الفريد في إعراب القرآن المجيد، مج: 4/ 394.

(309) القمر، 24.

(310) العكبري، أبو البقاء عبدالله (616): **إملاء ما من به الرحمن**، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، ص250. الفريد في إعراب القرآن المجيد، مج: 4، 397، إعراب القرآن، . مج: 7، ص668.

(311) تفسير البحر المحيط، 8/ 178.

(312) القمر، 49.

(313) إملاء ما من به الرحمن، ج1، 250. الفريد في إعراب القرآن المجيد، مج: 4، ص402، إعراب القرآن، . مج: 7، ص679.

(314) إعراب القرآن، . مج: 7، ص671.

(315) القمر، 29.

(316) ينظر في معاني (الفاء): مغني اللبيب، 1/ 161-162. معاني الحروف، ص43-44.

(317) إعراب القرآن، . مج: 7، ص664.

(318) القمر، 14.

(319) القمر، 15.

(320) إعراب القرآن، . مج: 7، ص664.

(321) معاني الأبنية في العربية، 9، 41. التعبير القرآني، ص36.

(322) القمر، 10.

(323) القمر، 27.

(324) القمر، 28.

(325) القمر، 49.

(326) القمر، 47.

(327) القمر، 54.

(328) القمر، 50.

(329) القمر، 15، 17، 22، 32، 40، 51.

(330) القمر، 16، 21، 30.

(331) تفسير البحر المحيط، 8/ 176.

(332) روح المعاني، مج: 9، 14/ 83.

(333) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 49.

(334) القمر، 17، 32، 40.

(335) تفسير الفخر الرازي، ج29/ 57.

(336) القمر، 37، 39.

(337) (337) تفسير البحر المحيط، 8/ 180.

(338) القمر، 48.

(339) القمر، 34.

(340) القمر، 31.

(341) القمر، 19.

(342) القمر، 23.

(343) القمر، 33.

(344) القمر، 18.

(345) روح المعاني، مج: 9، 14/ 84.

* * *